الدكتور عزت السيد أحمد

قياصرة روما السوريون

على هامش تزييف العقل العربي





Prof.Dr.Ezzat Assayed Ahmad

Kayasırıt Roma Al- Soriyein (ala hamış naziif al akel al arabi)

العنوان : قياصرة روما السوريون (على هامش نزيف العقل العربي)

تأليف : أ.د.عزت السيد أحمد

ISBN: 978-605-7785-25-1 **الترقيم الدولي**

Kapak Tasarımı: Ezzat Assayed Ahmad

Baskı ve Cilt

Kardeşler Matbaası
Matbaacılar Sit. 7. Blok No: 76
Kocasinan /KAYSERİ
Tel: 0 352 331 61 00 Sertifika No: 24209

Birinci Basım: Aralık 2019

ISBN: 978-605-7785-25-1

Köşk Mah. Ahmet El Biruni Cad. No: 8 Melikgazi/KAYSERİ
Tel : 0 352 207 66 66 / 31029 - 0 544 616 00 38
web : www.kimlikyayinevi.com / tez-mer@yandex.com

تركيا – ولاية قيصري – حي ملك غازي(كشك محلة – جادة أحمد البيروني)

كيملك ياينلاري للطباعة – تركيا ٢٠١٩ م



الدكتور عزت السيد أحمد

قياصرة روما السوريون

على هامش زيف العقل العربي

KimlikYayınlaı
Kayseri-Türkiye
1441 هـ - 2019 م



☆ الكتاب : **قياصرة روما السوريون**

علىٰ هامش نزيف العقل العربي.

Suriyeli Roma imparatorları, Arap aklının kanaması kenarlarında

☆ الموضوع: **دراسة .** Araştırma

☆ المؤلف : **الدكتور عزت السيد أحمد.**

☆ Yazar: Prof. Dr. Ezzat ASSAYED AHMAD

☆ عدد الصفحات: ١٤٦ صفحة.

☆ قياس الصفحة: ب ٥ = ١٧ X ٢٤.

☆ النَّاشر: **كيملك يايينلاري .** Kimlik *Yayınları*

☆ قيصرية . **تركيا .** Kayseri, Türkiye

☆ الطبعة الأولى: ٢٠١٩م.

☆ تصميم الغلاف بريشة المؤلف.

☆ الترقيم الدولي ISBN: 978-605-7785-25-1



فِيما كانَ أكثر أساتذتي في قسم الفلسفة

يزرعونَ الإحباطَ في دروبِ المتفوقين والمتألقين

ويَنفخونَ في الفارغين ويقدمونهم على المنابر

كانَ أستاذ الكل عادل العوا استثنائياً

يأخذ بيد أَي متفوق وإن خَالفه الميل والهوى

ويشجعه ويحفزه بروح أبوية

وليته سلم ممن مد لهم يد العون

إلى ذكراك العطري أستاذي عادل العوا

أهدي هذا الكتاب

المُقَدِّمَة

أبدأ من خاتمة كتابي الذي حمل عنوان السوريون بناة حضارات الإغريق واليونان والرومان، أبدا من النتيجة الحتمية التي سيصل إليها القارئ أي قارئ حَتَّىٰ الغربيين أنفسهم وهي التساؤل بدهشة:

إذن كان كل هٰؤلاء سوريين فماذا بقي للغرب في حضارته الأولى بأطوارها الثلاث؟ أكثر فلاسفة الحضارة الغربية الأولى بأطوارها الثلاث من السوريين، وأشهر فلاسفتها وأدبائها وشعرائها من السوريين... فماذا بقي فعلاً للغرب؟

أقول الكثير الكثير من كبار المشاهير ولا أشمل الجميع، مضطر لهٰذا التوضيح لأنَّ البلهاء أكثر من العقلاء، ولا تدري من يأتيك النقد الأعور الوثَّاب فوق أطر المنطق.

وذكرنا في مقدمة ذاك الكتاب وفي أثنائه أنَّنا لن نتحدث عن الأكثر أهميَّة وخطورة في هٰذا الشأن. لن نتحدث عن نشأة الحضارة

الإغريقية في بذورها وجذروها الأولى ومن صاحب الفضل فيها وكيف كان الفضل... وذكرنا أننا لن نتحدث عن السوريين الذي حكموا الإمبراطورية الرومانية قياصرة وأباطرة.

تركنا ذٰلك لهٰذا الكتاب لسببين:

السبب الأول حَتَّىٰ لا يكون الكتاب السابق ضخماً جدًّا يجفل منه المترددون في القراء، عَلىٰ الرَّغْمِ مما فيه من تشويق وإثارة وأهمية، كما في هٰذا الكتاب أيضاً.

السبب الثاني هو خصوصية هٰذه الموضوعات وتقاربها عَلىٰ نحو يجعلها تستحق أن يفرد لها كتاب مستقل.

في هٰذا الكتاب ثلاثة أبواب متبانة الموضوعات متماثلة في المبدأ، في كلها يصح القول: السوريون ملوك الحضارة الغربية؛ الملكة **أوروبا**، الملك **قدموس**... ثُمَّ قياصرة الرومان السوريون، ثُمَّ باباوات الكنيسة..

في بدء وجود البشر عَلىٰ الأرض كان السُّوريون. وكان في بدء نشأة الغرب السُّوريون هم المنشؤون. أساطير الإغريق الأولىٰ هي تقول ذٰلك ولسنا نحن القائلين. **أوروبا** هو اسم الأميرة الفينيقيَّة التي اختطفها **زيوس** وأحبَّها شعبه فأطلقوا اسمها عَلىٰ جهةٍ من جهات الأرض كانت هي موطن الغرب فيما بعد؛ موطن نسلهم وأحفادهم. فماذا تريد بعد ذٰلك؟

بعد ذٰلكَ أكثر من ذٰلكَ بكثير. شقيق **أوروبا** الأمير الملك **قدموس** هو الذي علَّمهم الأبجديَّة وبنىٰ مهد حضارات الغرب الأولى. وماذا تريد بعد ذٰلك؟

وبعد ذٰلك عشرات الأعلام السُّوريين الذين أناروا حضارات الإغريق واليونان والرُّومان وكانوا من أشهر أعلامها ورموزها ويحسب النَّاس جميعهم أنَّهُم من الإغريق أو اليونان أو الرومان، وهٰكَذا تقدِّمهم أو تقدِّم أكثرَهم الدِّراسات الغربيَّة وحَتَّىٰ العربيَّة بل وحَتَّىٰ السُّوريَّة... وهم في حقيقة الأمر سوريون الأصل والفصل وحَتَّىٰ الهويَّة والانتماء إلا قليلاً منهم؛ أكثرهم بدت هويته السُّوريَّة أو هو أبداها عمداً في فلسفته أو شعره أو أدبه... وهٰؤلاء من كانوا موضوع كتابي الآنف الذكر الذي نشر قبل أعوام ثلاث وهو: السورويون بناة حضارات الإغريق واليونان والرومان، الذين عندما تعرف تعرفهم ستفاجأ مفاجأةً كبيرةً، بل ستصدم صدمةً كبيرةً، وأكرر ثاني: في أبسط الاحتمالات ستقف وأنت تعضُّ أصابعك وتتساءل: «إذا كان كلُّ هٰؤلاء سوريين فماذا بقيَ للحَضارة الغربيَّة القديمة من أعلام وعلماء وفلاسفة عبر أطوارها الثلاثة: الإغريقيَّة واليونانيَّة والرومانيَّة؟!!».

لا أطيل في التقديم ولٰكن لا بُدَّ من إشارة شخصية وعلمية في الوقت ذاته. وهي أنَّ هٰذا البحث والكتاب شأنه عندي شأن سائر أبحاثي تقريبا منذ بدأت الكتابة، تنقدح شرارة الفكرة وتتحضَّر في مخيلتي، وما إن أشرع في الكتابة حَتَّىٰ تتفجر الأفكار في قلب البحث وتتشظى إلىٰ أبحاث أوسع وأكثر. أكثرها توسعت فيه إلىٰ هٰذا الحد أو ذاك، وأقلها اكتيفت فيها بالأصل، وأقل أقل أقلها هي التي مشيت مع تشظيها إلىٰ أبحاث كثيرة ومنها هٰذا البحث وهٰذا الكتاب الذي هو امتداد لسلسلة كتب: علىٰ هامش نزيف العقل العربي...

بـدأت الفكـرة بسياسـة الحكـام العـرب في هـدر الطاقـات العربيـة المادية والمعنوية والبشرية ببحث كتبته بَيْنَ عامي ١٩٩٩م و ٢٠٠٠م، بعنوان: العرب هؤلاء المذهلون؛ قراءة في الكفاءات العلمية والماديَّة المستنزفة، ونشر في كانون الثاني عام ٢٠٠١م في . مجلة المعرفة . وزارة الثقافة . دمشق . العدد ٤٤٨. ومنذ ذٰلك الحين سلخت الكثير من الوقت والجهد والمتابعة لتعميق البحث وتعزيزه فتوسع في تلك الأيام إِلىٰ أبواب كبيرة كل باب من منها موضوع كتاب هي في المحصلة كتب هٰذه السلسلة التي تأخر صدورها نحو عشرين سنة أو أقل قليلاً. وما كان تأخر صدورها إلا لكثرة المشاغل والانشغال بغيرها من الأبحاث والأعمال التي كانت تسابقها في أولوية النشر. إِلىٰ أن جاء أوان التفرغ لنشرها تباعاً لا معاً لكثير من الأسباب،فعَلىٰ الرَّغْمِ من كونها كلها جاهزة تقريباً منذ سنوات كثيرة وكان يمكن أن تصدر معاً وتزامناً في وقت واحدٍ إلا أنَّ الظروف أيضاً لا ولم تسمح بذلك، فهي كلها تحتاج إِلىٰ مراجعة وإعداد وإخراج، ويتزام معها مشاغل أُخرىٰ أيضاً تسابقها في الأولوية والأهمية.

أسأل الله أن أكون قد وقفت فيما عملت، وأن أكون قد قدمت ما يفيد ويغني العقل والفهم والتخطيط والتدبير. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

قياصرة روما السوريون
على هامش زيف العقل العربي
الدكتور عزت السيد أحمد

*

الباب الأول

السوريون مؤسسو حضارة الغرب


ZEUS

كثيرون الذين سمعوا بمنطقة القدموس الجميلة الموجودة على الساحل السوري، ولا شك في أنَّهُم سيقرنون اسم هٰذا الأمير باسم هٰذه المنطقة علىٰ الفور، ولا شكَّ في أنَّهُم لم يخطئوا في ذٰلكَ.

ولٰكن لماذا سميت هٰذه المنطقة بهٰذا الاسم؟ ومن أين جاء اسم **قدموس**؟

إن كنت لا تعلم فإليك المفاجأة منذ البداية: **قدموس** هو شقيق الأميرة **أوروبا**، **أوروبا** اسم القارة الأوروبية موطن الغرب كلِّه هو اسم أميرة سورية، **وقدموس** هو الذي علم الغرب الحضارة والأبجدية بل أيضاً أسس مدن الغرب الأولى.

ومن هنا تبدأ الحكاية. الحكاية مثبتة في أدبيات الغرب بأشعر الأساطير عن نشأة الحضارة الغربية/ الإغريقية، وأخبارها وفوق ذٰلكَ وردت بأخبار متواترة من قدماء مشاهير الإغريق القدماء في آدابهم وأدبياتهم ورسوماتهم ومنحوتاتهم وحكمهم وأمثالهم، وهي ليست من إنشاء غيرهم، ومع ذٰلكَ هي موجودة بالتفاصيل ذاتها في أدبيات الفينيقيين وأخبارهم وأساطيرهم. قد تجد بعض الاختلافات الشكلية الصغيرة ولٰكنَّ التفاصيل الأساسية ذاتها لدى الجميع، حَتَّىٰ لوحة اختطاف **أوروبا** تجد العجيب المدهش في توافق الجميع منذ العصور القديمة إلىٰ يومنا هٰذا رسمها بآلية واحدة في مئات وربَّما آلاف اللوحات وإن اختلفت أشكالها وتفاصيلها الصغيرة؛ في اللوحات جميعها تجلس جانبية لا عادية بوضعية افتراش الظهر وانفراج الرجلين حول علىٰ طرفي الثور أو الحصان.



توحي وضعية الجلوس بأمرين متناقضين في حين واحد لم يلتفت إليه أحد من الدارسين، ولم يشر إليه أحد قط. فوضعية الجلوس الجانبية هٰذه توحي بالأريحية والارتياح وعدم توقع نهوض الثور وحركته، بينما وضعية يديها توحيان بالمفاجأة من نهوض الثَّور وانطلاقه والتَّمسك العشوائي الغريزي لدى الخوف بأيِّ شيءٍ يتوقع منه تأمين الاستقرار وعدم السقوط، فقد تباعدت يداها لتمسك يسراها بقرن الثور، وفي اللوحة الأصل نزلت يمناها لتمسك برقبته مزيداً من التمسك خشية السقوط، وملامح الدهشة واضحة في اللوحات القديمة وحَتَّىٰ الحديثة. في حين أمال الثور رقبته بانحناءة نحوها ليساعدها في ما يبدو ويكون لها عوناً.

هٰذه دلالات لا تنفصل عن طبيعة الحكاية وجوهرها، سيتضح بعضُ منها هاهنا، وبعض تركنا لتفاصيل أكثر في كتابنا المخطوط: دمشق والشام والقداسة التاريخية[1].

---

(١) - هٰذا الكتاب في الأصل بحثان أولهما بعنوان دمشق والشام في الحديث النبوي كتبته عام ١٩٩٤م فيما أذكر، ونشر حينها فيما أذكر أيضاً. والثاني بعنوان: دمشق والشام والقداسة التاريخية الذي كان محاضرة ألقيتها في المركز الثقافي في جبلة باللاذقية في سوريا عام ٢٠٠٧م.

في اللوحات القديمة والمنحوتات القديمة كان لباس الأميرة أوروبا أنيقاً ساتراً محتشماً، صدرها مغطة بوشاح يتدلى حَتَّىٰ أسفل ساقيها، وثوبها يستر باقي أجزاء جسمها كله، فيما في لوحات عصر النهضة الأوروبية وما بعده تجد مبدأ اللباس ذاتها ولٰكنَّ بعضاً منها يعري بعضاً من رجليها أو بعضاً من صدرها أو كليهما أو غير ذٰلكَ.

فكيف حدث ذٰلكَ ولماذا؟

صار واضحاً مبدئيًّا الآن أن **أوروبا** أميرة تم اختطافها. أوروبا هي أميرة سورية ابنة الملك **أجينور** ملك صور، أمها **ليبيا** (اسم إقليم شمال إفريقيا فيما بعد). وأما أخوتها فهم الأمراء **ڤينوس وقدموس وفونيكس وكيليكس**.

تقول القصَّة بروايتيها الإغريقية والفينيقية بأنَّ الأميرة **أوروبا** كانت تتمشى علىٰ شاطئ مدينة صور. وكانت شابة جميلةً وذكيَّةً. وعندما شاهدها **زيوس**، كبير آلهة اليونان في الأسطورة الإغريقية ولٰكنَّهُ إسقاطيًّا سيكون شخصاً عاديًّا كما بينا في كتابنا دمشق والقداسة التَّاريخيَّة، سحره جمالها وعشقها. في رواية أنَّهُ قرَّر اختطافها وأخذها معه إلىٰ اليونان، فتحوَّل **زيوس** إلىٰ ثور ضخم ملفت للانتباه. أعجب الثور الأميرة **أوروبا**، فاقتربت منه وصعدت علىٰ ظهره. فاغتنم زيوس الفرصة مباشرة واختطفها.

في رواية أُخْرَىٰ أنَّهُ طلب ودها وعرض عليها الزَّواج فأبت، وبحسب الأساطير اليونانية، امتلك **زيوس** ميزة تبديل شكله أكثر علىٰ أكثر من ألف شكل مختلف فتقلب بَيْنَ هٰذه الأشكال ومع ذٰلكَ لم يستطع أن يكسب قلبها. فتحول إلىٰ ثور أبيض جميل ذي قرنين علىٰ شكل هلال وجلس عند قدمي

الأميرة **أوروبا**. فدبَّ الخوف في قلبها، ولٰكنَّهَا سرعان ما لبثت أن عاودتها الجرأة، فاقتربت من الثور وراحت تداعب عنقه، تابع **زيوس** أغرائها إلىٰ أن جلست الأميرة علىٰ ظهره، اعتلت ظهره لا ركوباً وإنما علىٰ هيئة الاسترخاء التي توحي بأنها لم تفكر في أنَّهُ سيتحرك وهٰذا ما يسوغ طريقة تصويرها في اللوحات الغربية قاطبة، فلو كانت عارفة بأنه سيسير بها لامتطه امتطاء الجياد، وفي هٰذا ما يؤكد الخديعة والاحتيال عليها للتمكن من الإمساك بها.

ما إن جلست إليه لا عليه حَتَّىٰ حمل **زيوس** الأميرة **أوروبا** عبر البحر هبَّ يركض نحو البحر علىٰ الرَّغْمِ من صرخات الأميرة أوروبا، التي تمسكت بقرونه بشدَّة... مخر الثور البحر وركب الأمواج وابتعد عن الشاطئ، وعبر بها المياه حَتَّىٰ جزيرة كريت. وبقيت عنده هناك أسيرة وتزوجها فيما يبدو علىٰ الرَّغْمِ منها وانجبا عدداً من الأبناء. كبيرهم **مينوس** الذي صار ملكاً لجزيرة كريت، وفيها أسَّس حضارتها التي سيكون لها مكانتها لاحقاً.

إذا تتبعنا الكتابات الإغريقية القديمة والغربية الحديثة سنجد أنهم اشتقوا من اسم هٰذا الملك ما سمي الثقافة المينوسية، ويقولون إنَّهَا أوَّل حضارة غربيَّة في الوجود... أول وجود للحضارة الغربية تم تأسيسه علىٰ يد ابن الأميرة السورية الفينيقية **أوروبا**، ولا عجب إذ ذاك أن تجدهم يقرون ويعترفون بأنَّ أول حضارة غربية ليست إلا صدى للحضارة الفينيقية. وليس هٰذا فحسب بل أكثر من ذٰلكَ سيأتي.

في حين أن الناس أحبت الأميرة **أوروبا** كثيراً جدًّا إلىٰ درجة أنَّهُم أطلقوا اسمها علىٰ جهة من جهات الأرض ستحمل هوية أحفادهم فيما بعد، وقيل إن

زيوس هو الذي أطلق اسمها علىٰ جهة من جهات الأرض وهٰذا مستبعد من بسبب سياق ما سيأتي...

المهم، في حين أنَّ الناس أحبتها وعشقتها فإنَّ مجلس الآلهة خاصة الإناث منها أبدوا تذمراً واحتجاجاً شديدين علىٰ **زيوس** وتشاكوا منه. ولٰكن لماذا كان ذٰلكَ؟

أولاً: تشاكوا وتذمروا غيرة بسبب ما اكتسبته **أوروبا** من أهميَّة ومكانة في المجتمع الإغريقي علىٰ مستوى الناس وعلىٰ مستوى المكانة التي احتلها أولادها.

ثانياً: حسبما تقول الأسطورة الإغريقية فإن الآلهات الإغريقيات احتججن علىٰ زواج **زيوس** من أجنبية في حين أنَّهُ يوجد لديهم (عدد كافٍ) من النساء. اللغة غدارة. لاحظ استخدام تعبير يوجد عدد كاف من النساء. الذي يوحي منطقيًّا للمتتبع الناقد بافتقار هٰذا المجتمع إلىٰ النساء. ولذٰلك دلالاته التي توسعنا فيها في غير هٰذا الموضع. ومن الأدلة علىٰ ذٰلكَ الآتي:

ثالثاً: الآلهة الذكور أيضاً احتجوا علىٰ كبير الآلهة **زيوس**. لماذا يا ترى؟ لأنَّ **زيوس** اختص نفسه بالأميرة المخطوفة الجميلة والذكية، ونعتوه بأنه أناني كليَّةً لأنه لم يتقاسمها معهم. وفي هٰذا دليل ايضاً علىٰ افتقاء ذٰلكَ المجتمع الإغريقي في مهده إلىٰ النساء، فلماذا يتقاسمها معهم وآلهات الإغريق في الأوصاف أجمل منها بما لا يوصف، وكثيراً أكثر من الآلهة الذكور حسب الأساطير الإغريقية؟ مرَّة ثانية غدر اللغة يفرض إيقاعه.

حسناً، قبل أن نتابع تتمة حكاية الأميرة أوروبا من الطرف الآخر ودور الفينيقيين في بناء الحضارة الغربية وتأسيسها، يجب أن نذكر ونتذكر هنا أنَّ

الأوروبيين اليوم في الطبقات العليا من الثقافة والإدارة يقرون ويعترفون بأن أصل نشأتهم كلها كان بفضل السوريين، وها هي اليوم تظهر قصة الأميرة أوروبا من جديد علىٰ مستوى الاتحاد الأوروبي، فمع تأسيس الاتحاد الأوروبي واعتماد اليورو عملة موحدة للدول الأوروبية منذ عام ١٩٩٢م، وهٰذا من أهم الأحداث التاريخية التي مرة بها أوروبا منذ نشأة الحضارة الغربية فقد اختاروا تدشين هٰذا الحديث التاريخي بجعل صورة اختطاف الأميرة **أوروبا** علىٰ قطعة النقود فئة (٢ يورو) وهٰذه الفئة هي التي تولت اليونان إصدارها. ومنذ العام ٢٠١٣م، طبعت الأوراق النقدية من فئة خمسة يورو من البنك المركزي الأوروبي مع رأس الأميرة أوروبا، وفي عام ١٩٩٨م أصدرت فرنسا طابعاً بريديًّا عليه لوحة اختطاف **زيوس** الأميرة **أوروبا**.

ثمَّ ماذا غير ذٰلكَ؟

عندما اختفت الأميرة **أوروبا** لم يدر أبوها الملك **أجينور** ملك صور أين اختفت، فحزن حزناً شديداً، وأرسل أولاده **فينوس وقدموس وفونيكس وكيليكس** للبحث عنها وأمرهم ألا يعودوا إلا وهي معهم، فمضى كلٌّ منهم في اتجاهٍ.

عندما يئس **فونيكس** من البحث عن أخته أسس مدينة فينيقيا واستقر فيها.

وعندما يئس **كيليكس** أشاد مدينة كيليكية واستقر فيها أيضاً.

أما **قدموس** فتابع المسير والبحث.



هٰذا القسم في رواية، وفي الروايات الأكثر شهرة أنَّ الملك **أجينور** حزن حزناً شديداً علىٰ فقدان ابنته **أوروبا** التي اختطفها **زيوس** ومضى بها إلىٰ جزيرة كريت. فالخاطف هنا معروف والجهة أيضاً معروفة ولٰكنَّ المكان بالتحديد غير معروف. ولذٰلك أمر الملك **أجينور** أولاد بالذهاب والبحث عنها وعدم العودة إلا بها وذهبت معهم أمهم **ليبيا** وفي رواية اسمه **تيليفاسا**.

مضوا باتجاه حزيرة كريت اليونانية اليوم. وفي طريقهم اشادوا القدموس وفينيقيا وكليكيا وكل واحدة علىٰ اسم ابن من أبناء الملك **أجينور**. حَتَّىٰ وصلوا إلىٰ اليونان، وصلوا أول ما وصلوا إلىٰ جزيرة ثيرا التي كانت تدعى حينها كاليستي فتبرعوا ببناء معبد فيها، وعلَّموا أهلها الكتابة، وبقي بعض من مرافقيهم فيها، فيما تابع الآخرون رحلة البحث عن الأميرة **أوروبا**، حَتَّىٰ وصلوا إلىٰ جزيرة ثاسوس فبنوا فيها مدينة وأطلقوا عليها الاسم ذاته، وتابعوا رحلتهم إلىٰ ثراكين وفيها ماتت الأم **ليبيا** أو **تيليفاسا**.

كان موت الأم مدعاة ليأس **فونيكس وكيليكس** وفقدانهما الأمل بالعثور علىٰ أختهم الأميرة **أوروبا**. فعاداً إلىٰ فينيقيا.

أمَّا **قدموس** فقد فتابع وتوجه نحو اليونان متابعاً البحث، ولكنَّهُ عبثاً يحاول أن يجد أخته... حاول كثيراً ولٰكنَّهُ لم يستطع، فذهب إلىٰ كهنة معبد دلفي الشهير واستشارهم فنصحوه أن يترك هٰذه المهمة، وطلبوا منه أن يسير وراء إحدى الأبقار وأن يقيم مدينة حيث ترقد هٰذه البقرة، فنفَّذَ الأمر وسار وراء البقرة حَتَّىٰ تعبت ورقدت فعزم علىٰ تأسيس مدينة طيبة هناك وأسسها فكانت إحدى أهم المدن اليونانية وأشهرها لقرون عديدة أنبتت كثيراً من أبرز أعلام الفكر اليوناني. بل يوحي لنا تاريخ الإغريق بأن طيبة هٰذه التي أسسها وبناها الأمير **قدموس** هي منبت الإغريق والحضارة الإغريقية.

ولكن تاريخ الأمير **قدموس** لا يتوقف عند هذا الحد وحسب، فقد حكم مدينة طيبة بالعدل والحكمة،وشهدت له بذلك كتب التاريخ الَّتي تحدثت عن تلك المرحلة.

وإلىٰ جانب طيبا وما سبق من مدن بناها **قدموس** وأخوته بنى أيضاً مدينة قدنيا ثانية أقدم حواضر الإغريق. أمَّا الفضل الأكبر الذي قدمه الملك **قدموس** للحضارة الإغريقية فهو أَنَّهُ علم أهالي مدينة طيبة كما علم ذٰلكَ غيرها من المدن الإغريقيةِ الأبجديةَ الفينيقية؛ الكتابة، الَّتي تحولت شيئاً فشيئاً إلى الأبجدية اليونانية. حَتَّىٰ إنك لتجد من يهذب إلىٰ أنَّ كلمة أكاديمية مشتقة من اسم قدموس، فقد أطلقوا علىٰ قدموس Cadmo اسم المعلِّم أو حَتَّىٰ المعلِّم الأوَّل،

ومن اسنه اشتقوا كلمة أكاديمية academia وآكاديمي académico ولا يبدو ذٰلكَ غريباً بحال من الأحوال.

يروي لنا ذٰلكَ **هيردوت** الذي كان قد شاهد بعينيه الحروف الفينيقية المحفوظة في معبد أشمون أبولو في مدينة طيبة. وكذٰلكَ يقرُّ **ديودورس** بأنَّ **قدموس** قد أحضر الأبجدية من فينيقيا وعلمهم إياها. ويستطرد المؤرخون القدماء كثيراً في سرد مآثر قدموس سرداً عشقيًّا، ويخبرنا هيرودوت أنَّ إحدى قبائل إسبارطة القوية وهي قبيلة الأبجديين كانت تنتسب **لايجيوس بن تيراس** الذي سميت جزيرة تيرا باسمه، أنَّهُ من سلالة **قدموس**.

وقد بيَّنت الكشوفات الأثرية في قلعة كادميون الَّتي هي القصر الملكي لمدينة طيبة وسط اليونان وجود مجموعة كبيرة من الآثار الَّتي يرجع أصلها إلىٰ الحضارة الفينيقية، ومن أهم ما عثر عليه ثمانٌ وثلاثون قطعة من الأختام الدائرية... وهٰذا مما كرَّس الثِّقة في تاريخية قصة **قدموس** التي يصعب وربَّما يتعذر وجود من يطعن أو يشكك فيها وبتفاصيل أفضاله علىٰ في نشأة حضارة الإغريق.

وبذلك يكون للعرب على الحضارة الغربيَّة فضلان لا يعدلهما فضلٌ أبداً أولهما أنَّ اسم قارتهم أوربا هو اسم لأميرة عربية، وثانيهما أنَّهُم تعلموا الأبجدية من العرب.

ولٰكنَّ فضل العرب على الحضارة الغربية لم يتوقف عند هٰذا الحد فما أكثر ما قدموا لها، والكثير من هذا الكثير ستعرفه إن أنت تابعت هٰذه السلسلة. وختاماً للعلم فإنَّ قصَّة **قدموس وأوروبا** قد وصلتنا عن

طريق الشَّاعر الروماني هوراس في كتابه III Odas وعن طريق الشاعر الروماني **أوفيد** في كتابه التحولات، ناهيك عن كتابات **هيرودوت** وغيرهم غير قليل.

لنقرأ عجاللة من كثير ما كتبه **هيردوت** عن **قدموس** الفينيقيين وهو:

«إنَّ أولٰئك الفينيقيين الذين قدموا إلىٰ هٰذهِ البلاد مع **قدموس**، ومن بَيْنِهم الغفرائيون. حملوا معهم مجموعةً من المعارف ومن بَيْنِها الأبجدية وعلموها للإغريق، والتي، حسب ما أعتقد، لم تكن معروفة في هذه المنطقة من قبل. في البداية اسْتُخْدِمَت هٰذه الأبجديَّة كما كانت تستخدم عند جميع الفينيقيين. ولٰكِن في مجرىٰ الزَّمن تأقلمت هٰذه الأحرف مع اللغة، واتَّخذت شكلاً آخر. البلدان المجاورة التي كانت تحت حكم الأيونيين اعتمدت أيضاً هٰذه الأبجدية التي تعلموها من قبل الفينيقيين وقاموا بإجراء بعض التغييرات الطفيفة. يجدر بنا أن نعْدُل بحسن النية ونمنح اسم الأبجدية الفينيقية لهذه الكتابة، لأنَّ الفينيقيين هم الذين أدخلوها إلىٰ اليونان». (هيردوت . ٥٨/II)

حديقة أبيقور

خصَّص الأديب الفرنسي الشهير **أناتول فرانس** صفحات **لقدموس** والأبجدية في كتابه (حديقة أبيقور)، تخيَّل فيها أنَّ طيف **قدموس** زاره يوماً في مكتبه ودار بَيْنَهما حوار شائق فيما يلي بعض منه:

. **قدموس**: لقد علَّمت اليونان مبادئ الفنون جميعها. في مقابل ما أخذت منهم من القمح والخمر والجلود. أعطيتهم كؤوساً حفرت عليها رسوم اليمام وتماثيل صغيرة من الفخار أخذوا في تقليدها منذ ذٰلك الحين، مع بعض التعديل

حسب أذواقهم. ثُمَّ منحتهم الأبجدية التي لولاها ما استطاعوا أن يثبتوا ولا أن يوضحوا أفكارهم التي يعجبون بها إِلىٰ اليوم. هٰذا ما عمله **قدموس** العجوز... وما دام نصيبك من الذكاء يا سيدي أقلَّ من أن يجعل منك تاجراً فأصبحت لذٰلكَ كاتباً كما أرىٰ، تكتب كما كان يفعل الإغريق قبلك، فقد وجب عليك أن تكرِّمني تكريم الآلهة لأنك مدين لي بالألفبائية. في الواقع، أنا لست مؤلفها. فلم أوجدها إلا لتسهيل أعمالي التجارية من دون أن أتنبأ بما سوف تستخدمه فيها الشعوب الأديبة. لقد كنت في حاجة لطريقة كتابة بسيطة وسريعة... ولو أنِّي وجدت في متناولي كتابة جيدِّة لما أجهدت نفسي في اختراع غيرها. ولٰكنِّي لم أجد أمنيتي لا في أبجدية الشعوب التي تسمُّونها اليوم الحثِّيَّة من دون أن تعرفوها ولا في الكتابة المقدَّسة المصريَّة. وقد كانت هٰذه كتابات معقَّدة بطيئة تصلح لأن تكسىٰ بها جدران المعابد والمقابر أكثر من أن تحفر على ألواح التاجر. أسلوب هٰذه الكتابات كلها كان رديئاً... ولٰكنِّي بفكرةٍ عبقريَّة اخترت اثنتين وعشرين علامة من العلامات الكثيرة لأجعل منها الاثنين والعشرين حرفاً التي تتكوَّن منها الأبجديَّة. وهي عبارة عن رموز يمثِّل كلٌّ منها صوتاً واحداً ويمكن بتجميعها . بسهولة وسرعة . تصوير جميع الأصوات بأمانة، ألم يكن ذٰلك عملاً رائعاً؟

. **أناتول فرانس**: بل كان أروع مما تظن. فنحن مدينون لك بحاضرٍ عظيم. فلولا هٰذه الأبجدية ما دُوِّنت الخطب وما وجدت الأساليب الأدبية وبالتالي الأفكار الدقيقة والتجريدية والفلسفات المتقنة التركيب. حقاً إنَّ اختراعك لجميل وثمين جدًّا ولٰكنَّهُ جاء ناقصاً لأنك لم تفكر في وضع حروف الحركة التي أوجدها

بعدك الإغريقيون الأذكياء الذين كان من نصيبهم في هٰذه الدنيا أن يصلوا بكلِّ شيء إِلىٰ حدود الكمال.

ـ **قدموس**: حروف الحركة؟! لقد كنت دائماً معتاداً عَلىٰ خلطها ببعضها كما أظنُّ أنَّك لاحظت عليَّ في هٰذه الليلة. **قدموس** العجوز يتكلَّم من حلقه.

ـ **أناتول فرانس**: إني لأسامحه في ذٰلك، بل وأسامحه في كلِّ شيء لأنه أهدى إِلىٰ الإغريق والعالم أثمن هديَّة؛ أي الاثنين والعشرين حرفاً التي تتكوَّن منها الأبجدية الفينيقيَّة التي منها اشتقّت جميع أبجديات العالم. ولم تظهر عَلىٰ سطح الأرض فكرة من دون أن تثبتها هٰذه الحروف وتحفظها. فمن أبجديتك يا **قدموس** الإلهي اشتقت الكتابات الإغريقية والرومانية التي انبثقت منها جميع الكتابات الأوروبية. ومن الفبائك كذلك تفرَّعت كل الكتابات السامية، من الآرامية والعبريَّة إِلىٰ السريانيَّة والعربيَّة. وهٰذه الألفبائيَّة الفينيقيَّة نفسها هي أبو الألفباء الحميريَّة والحبشيَّة وكل أبجديات آسيا الوسطى كالزند والبهلوي وحَتَّىٰ الأبجدية الهنديَّة التي تولدت منه الدفنجاري وكل أبجديات آسيا الجنوبية. فما أعظم هٰذا النجاح العالمي! إنه لا توجد عَلىٰ وجه الأرض في هٰذه الساعة كتابة واحدة ليست مشتقة من الكتابة القدموسية. فكل من كتب اليوم كلمة مدين بالجميل للتجَّار الكنعانيين القدماء...

ختاماً

تبدو في المتن الأخير **لأناتول فرانس** الحقيقة المرة التي انشغل بها الجميع وهي اختزال دور الفينيقيين وقدموس وأوروبا وأخوتهم في نقل الأبجدية للإغريق أو تعليمهم الأبجدية.

مع الأهمية المنقطعة النظير لهٰذه المسألة كما أشار **أناتول فرانس** وكما هي في حقيقة الأمر فإنَّ في التركيز عَلىٰ هٰذه الفكرة بهذه الطريقة في الثقافة الغربية، واتبعتهم في ذٰلك ثقافتنا العربية والثقافات العالمية مع إغفال ما في الحكاية من تفاصيل ودلالات؛ سواء أكان مقصوداً بدهاء أو غير مقصود، فإِنَّهُ ابتسار واختصار وابتذال في هدر ثلاثة أرباع الحقيقة عَلىٰ الأقل والمتمثل في أنَّ **قدموس** والفينيقيين هما مؤسسو مهد حضارات الغرب وهم معلموهم الفكر واللغة والكتابة ناهيكم عن إشادتهم مدنهم الأولى وعَلىٰ رأسها طيبة أس مدن الإغريق وأكثرها قدماً، ومدينة قدنيا ثاني أقدم مدن الإغريق اللتان كلاهما هي في عرف الغرب أصل نشأة الإغريق، فإذا كانت هاتان المدينتان من إنشاء قدموس فماذا بقي للإغريق بعد ذٰلك؟ للحكايي دلالات أعمق بكثير من السطحية التي تم ويتم بها التعامل مع هٰذه حكاية **قدموس وأوروبا**. وإذا انتقلنا إِلىٰ كتابي الذي صدر قبل بضع سنوات بعنوان: السوريون بناة حضارات الإغريق واليونان والرومان سنجد تتمة الحكاية وتأكيد هٰذه الحقيقة عندما سنعلم أن أوائل فلاسفة حضارات الغربي وحكمائهم هو سوريون عَلىٰ رأسهم **طاليس** أبو الفلسفة وأوال الفلاسفة في عرف المؤرخين في أرجاء العالم، ومن تلاه من الفلاسفة كَذٰلكَ ثُمَّ في الطب والرياضيات والفلك وهلم جرًّا.

نحن لا نخترع الحقائق نحن نكشف عنها أو نكتشفها. كل ما ذكرنا في هٰذا الكتاب والكتاب الذي ذكرته قبل قليل حقائق فوق الشكِّ كلها أو أكثرها عَلىٰ أقل تقدير، فلا بُدَّ من وجود بعض اللبس أو الغموض في بعض الأشخاص حَتَّىٰ في عصرنا هٰذا يمكن أن نقع في مثل هٰذه الأخطاء مع أشخاص معاصرين، ولا يقلل ذٰلك من قيمة الكتاب بالمجمل.



الباب الثاني

عائلة القياصرة



عائلة القياصرة

تعريف



دعني أصدمك بداية بحقيقة يجهلها المؤرخون أكثرهم وهي أنَّ أباطرة أو قياصرة الإمبراطورية الرومانية كلهم كانوا من أسرة واحدة بمن فيهم **فيليب العربي** وهو بيت القصيد في الحكم، إذ إِنَّهُ في تعريفاته كلها عربي المنبت والمنشأ والهوية من أسرة عربية في جبل حوران، وابن شيخ العشيرة العربية. وهو آخر الأباطرة السوريين الذين حكموا روما. صحيح أنَّهُ من حوران وليس من الأسرة الحمصية

أسرة الأباطرة أو القياصرة إلا أنَّهُ كان متزوِّجاً من هٰذه الأسرة حَتَّىٰ بات يمكن القول إِنَّهُ جزء منها وامتداد لها.

والحقيقة الثانية التي أود تقديمها هاهنا في البداية هي أنَّ هٰؤلاء الأباطرة جميعاً لم يكونوا بل لم يكن أيُّ واحد منهم محطة عابرة، كل واحد منهم كان علامة فارقة ومحطة بارزة في تاريخ الإمبراطورية الرومانية من حَيْثُ الإدارة والمهارة والإنجازات الكبرى والتأثير الجلي الواضح في الإمبراطورية وعقليتها.

عائلة القياصرة، عائلة الأباطرة، سلالة القياصرة، سلالة الأباطرة... تختلف الألفاظ وتتفق في الدلالة والمعنى. من الطبيعي أن تكون هناك سلالات أباطرة أو ملوك وهي موجودة في كلِّ زمان، ولٰكن عزَّ وندر أن تجد مثل سلالة القياصرة الأباطرة الحمصية التي وإن بدأت **بسبتموس سيفروس** إلا أنَّ محورها وبؤرتها المركزية هي الإمبراطورة **جوليا دومنا؛ جوليا دومنا** إمبراطورة، زوجة إمبراطور، أم أباطرة، أخت أباطرة، جدة أباطرة. وكلهم تقريباً كانت لهم قيمة تاريخية كبرى ومفصلية في تاريخ الإمبراطورية الرومانية، وهٰذا مفصل الافتراق الثاني عن سلاسلات الأباطرة في العالم، فهؤلاء سوريون، من حمص، ووصلوا إلىٰ أن يكونوا قياصرة روما، خلاف سلاسلات أو عائلات الأباطرة والملوك التي انحصرت وتنحصر كلها في بلادها وشعوبها.

هل هٰذه مثلبة أم ميزة للإمبراطورية الرومانية؟ لا يعنينا ذٰلكَ الآن، فتلكم مسألة لها مكان مختلف في العرض والمناقشة والتحليل. ولٰكنَّهَا ميزة لهذه الأسرة الحمصية.

إن كـان ثَمَّـة بعـض التعيـتم أو الغمـوض في هويـة بعـض مـن الأعـلام السـوريين الـذين أسـهموا في بنـاء الحضـارة الغربيـة القديمـة بمراحلهـا الـثلاث؛ الإغريقيـــة واليونانيـــة والرومانيـــة[٢]، فلـــيس ثَمَّـــة أدنى شـــك في هويـــة هٰـــذه العائلـة الـتي حكمـت الإمبراطوريـة الرومانيـة عشـرات السـنين. حَـتَّىٰ لقـد شــاعت في الغــرب عبــارة تقــول: «إنَّ ميــاه نهــر العاصــي تصُــبُّ في نهــر التيـبر برومـا». قيلـت هٰـذه العبـارة لأجـل هٰـذه العائلـة تحديـداً ولم تقـل لأجـل عشــرات الأعــلام الســوريين مــن فلاســفة وسياســيين وحقــوقين وشــعراء وغيرهم ممن تضمن هٰذا الكتاب كلاماً علىٰ أكثرهم.

لن نتحدث عليهم هنا حتى لا نفسد متعة القراءة، ولا نكرر من جديد ما كان من قبل، حسبنا أن نختم هٰذه العجالة التَّمهيديَّة بأنَّ الغرب لم يغمط هٰؤلاء حقهـم، بـل أنصـفوهم جميعـاً موضـع فخـر الحضـارة الغربيـة، وإن ظهـرت قـديماً وحديثاً ومعاصراً بعض الأصوات المتذمرة والعنصرية الـتي تنـال منهـم ومـن فـترة حكمهــم... ولــذٰلك لــيس مــن الغريــب أن تجــد مئــات الكتــب والدراســات والمقالات في باللغات الأوروبية كلها لكل من هٰؤلاء ولهم معاً، بل لا أكشف سرًّا إذا قلت إنَّ الكتابات العربية كلها عنهم مستمدَّة من الكتابات الفرنسية أو الإنجليزيـة، لـن أكـرر المصـادر المراجـع مع كـل واحـدٍ منـهم، أشـير هنـا في هٰـذه المقدمـة إلىٰ أبرزهـا، منهـا مـا سـبق الاقتبـاس منـه مثـل أمـيرات سـوريا حكمـن

(٢) . كان هٰؤلاء الأعلام موضوع كتابنا: السوريون بناة حضارات الإغريق واليونان والرومان، صدر عن دار العالم العربي عام ٢٠١٧م. وهو جزء من هٰذه سلسلة كتبنا؛ علىٰ هامش نزيف العقل العربي، وهٰذا هو الكتاب الرابع من هٰذه السلسلة التي كان أولها نزيف العقل العربي، وثانيها السورويون بناة حضارات الإغريق واليونان والرومان، وثالثها نجوم عربية تسطع في سماء الغرب، وهٰذا هو الرابع.

روما[٣]، والموسوعات الشَّهيرة البراتانيكا والويكيبيديا[٤]، وسوريا تحكم روما[٥]، وتاريخ حمص[٦]، ولا أنسى الإشارة إلىٰ كتاب **سعد صائب**[٧] الذي قدم تعريفات مبتسرة بسطر أو اثنين لكثير ممن وردوا في هٰذا الكتاب.



*

---

(٣) . جودفري تورتون: **أميرات سوريات حكمن روما** . ترجمة الدكتور بشير زهدي . المجلس السوري الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية . دمشق.

(٤) . الويكبيديا العربية والإنجليزية والموسوعة البريطانية.

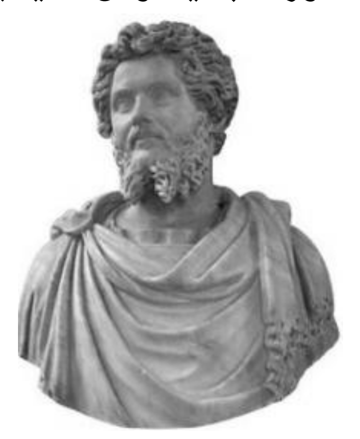
(٥) . د. متري أثناسيو: **سورية تحكم روما** . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠١م.

(٦) . عيسى أسعد: **تاريخ حمص** . مكتبة السائح . طرابلس/ لبنان . ١٩٨٣م.

(٧) . - انظر سعد صائب: **دور سوريا في بناء الحضارة الإنسانية** . مرجع سابق.

عائلة القياصرة

الإمبراطور سبتيموس سيفيروس



سبتيموس سيڤيروس أو **لوشيوس سيبتموس سيڤيروس** Lucius Septimius Severus أو **سيڤروس الأول**، القيصر أو الإمبراطور الحادي والعشرون في تاريخ الإمبراطورية الرومانية. ولد في ١١ نيسان/ أبريل ١٤٥م وتوفي في ٤ شباط/ فبراير ٢١١م. تولى الإمبراطورية ١٨ عاماً منذ عام ١٩٣م حَتَّىٰ وفاته عام ٢١١م.

علىٰ الرَّغْمِ من ولادته بمدينة لبدة في ليبيا حاليًّا، وعلىٰ الرَّغْمِ من وجود الأصوات التي تباشر بأنه روماني فإنَّ الاتفاق علىٰ كونه سوريًّا أمر يقترب من الإجماع علىٰ اساس أصله الفينيقي، بل ثَمَّة من ذهب إلىٰ كونه من آفاميا ومن قلعة المضيق تحديداً.

قطعاً لدابر الجدال في كونه سوريًّا ننقل عن الويكيبيديا الإنجليزية أنَّ لغته الأصلية هي اللغة الفينيقية كونه من عائلة فينيقية وبعدها ذهب أثينا ثمَّ إلىٰ روما حَيْثُ درس البلاغة والقانون والآداب والفلسفة في هما علىٰ التتالي، واشتغل بالمحاماة في روما، فتعلم اليونانية، وبالضرورة تعلم اللغة اللاتينية التي كانت لغة الإمبراطورية الرومانية التي ظل يتكلمها طيلة حياته ولٰكن بكلنة فينيقية، وهٰذا ما كان مدخلاً للطعن فيه من قبل خصومه. وتروي الويكيبيديا قصة زيارة أخته له في روما ولم تكن تعرف اللاتينية وإنما كانت تتكلم الفينيقية فقط الأمر الذي سبب له الحرج، ومع هذا الطعن في عدم أهليته بوصفه أجنبيًّا غريباً فقد استطاع **سبتيميوس سڤروس** تذليل الصعاب والتغلب علىٰ الخصوم والاعداء في جو مشحون بالتوتر ومحفوف بالأخطار المحدقة.

علىٰ الرَّغْمِ من لهجته السامية كان من أحسن الرومان تربية وأكثرهم علماً في زمانه، وكان مولعاً بأن يجمع حوله الشعراء والفلاسفة، ولٰكنَّهُ لم يترك الفلسفة تعوقه عن الحروب، ولم يدع الشعر يرقِّق من طباعه. كان رجلاً وسيم الطلعة، قوي البنية، بسيطاً في ملبسه، قادراً على مغالبة الصِّعاب، نافذ البصيرة في قضائه، بارعاً في الفنون العسكرية، قديراً صارماً في أحكامه، مقداماً في القتال غير هيَّاب، بل وكان قاسي القلب لا يرحم إذا انتصر وفي الوقت ذاته كان لبقاً فكهاً في حديثه.

وعلىٰ أي حالٍ فهو من قبل الذهاب إلىٰ روما لم يكن نكرة من قبل وإنما هو من أسرة عريقة، وكان جده فارسا غنيًّا، وكان أحد أقاربه مسؤولاً في الولاية الرومانية وهو الذي ساعده في دخول المجلس الروماني

كسناتور ومؤيد للامبراطور **مرقص أو ماركوس أورليوس**. ولنبوغه في القانون فقد تولَّى مناصب حكومية عدَّة في عهد الإمبراطور **أوريليوس** وإبنه **كومود**، وكان قائداً عسكرياً ماهراً أحبَّه الجند لأنَّه كان شديد العطف عليهم، كذٰلكَ أحبه الإمبراطور **كومود** ووثق فيه فكثرت المهمات والمسؤوليات التي أناطها بسيڤروس فعمل نائب قنصل عام، ثمَّ قائداً عسكريًّا في سوريا، وحاكماً لمنطقة الغال وهي فرنسا اليوم، وأضيفت إليها صقيليا والنمسا والمجر، ومن قبل ذٰلكَ لم يكن قليل الحظوة أيام الإمبراطور **مرقص أوريليوس** إذ في عهده تولى أمر جنوب إسبانيا، وعاد إفريقيا ممثلاً للإمبراطور، ثمَّ ممثلاً عن العامة في مجلس الشيوخ بروما، وعام ١٧٣م أصبح عضواً في مجلس الشيوخ الروماني بدعم من الإمبراطور **مرقص أوريليوس**.

وفيما تطلعنا الروايات القديمة أنَّ أحد الأشخاص ويُدعى **يوليوس إسكندر** ترأس عصابة في منطقة حمص وراح يعيث في البلاد فساداً ويبث الرعب في نفوس الأهالي لدرجة تجاوزت قلق الأهالي إلىٰ خشية الإمبراطور **كومود بن أوُريليوس** شخصيًّا من شرِّ هٰذه العصابة وهٰذا الشخص فلم يجد أشد كفاءة وقدرة من القائد العسكري **سبتيموس سيڤيروس** لضرب هٰذه العصابة، فتوجَّه إلىٰ المنطقة التى اعتصمت بها العصابة وطوَّقها وقضى عليها عام ١٧٩م، وبقيت حاميته في حمص بضع سنين اختلف المؤرخون في تحديدها. وفي أثناء وجوده في حمص عرف **جوليا دومنا** فسحره جمالها وشعرَ بميل عظيم إليها، فطلبها من أبيها الذي لم يُمانع عن تلبية طلبه علىٰ الرَّغْمِ من أنَّهُ يكبرها بعشرين سنة. وأكملا

معاً مشوارهما من مجد إلىٰ مجد... ومنه ابنيهما **كاراكلا** Caracalla الذي وُلِدَ في ليون بفرنسا سنة ١٨٨م والأصغر **جيتا** Jeta . وقد كان قبلها متزوجاً من **باتشيا مارشيانا** . Paccia Marciana التي تزوجها عام ١٧٥م وتوفيت قبل زواجه من **جوليا دومنا**.

في ١ كانون أول عام ١٩٢م توفي الإمبراطور **كومود** مسموماً. فتولَّى الإمبراطورية مكانه **برتينكس** والي سوريا، ولٰكنَّهُ لم يستطع إرضاء الجند فقتلوه في ٢٨ آذار/مارس عام ١٩٣م، وسرعان ما استقرَّت الأمور علىٰ مبايعة رجل غنيٍّ جدًّا يُدعى **ديديوس يوليان** والمناداة به إمبراطوراً.

ولما وصلت الأخبار إلىٰ كتائب جيش الإمبراطورية الرومانيَّة المنتشر في أرجاء البلاد دب نوع من التَّمرد علىٰ هٰذه المبايعة ونادوا بقائدهم **سبتيموس سيڤروس** إمبراطوراً. كان ذٰلكَ في التاسع من نيسان/ أبريل ١٩٣م.

في هٰذا لأثناء كان **سبتيموس سيڤيروس** يقود جيش الدانوب، وكان محبوباً جدًّا من جنوده الذين نادوا به إمبراطوراً فأسرع بجنوده إلىٰ روما ودخلها في التاسع من حزيران بموكب عظيم وتبوَّأ الإمبراطورية... ولٰكن ليس بهٰذه السلاسة والسهولة. المجلس العالي الروماني سرعان ما أصدر حكماً بإعدام **ديديوس يوليان** بوصفه مجرماً، فقُبضَ عليه وقُتِلَ بعد حكمَ دام ٢٦يوماً. وتولى **سيڤروس** بنفسه تسوية ما بقي من أمور... ماذا بقي؟.

من سوء طالع مجلس الشيوخ أنَّهُ أعلن تأييده **لألبينس** Albinusمنافس **سبتميوس**، فذهب إليه **سبتميوس** ومعه ستمائة من رجال الحرس، وأقنعه بأن يؤيِّده في ارتقاء العرش؛ فلما تم له ذٰلكَ أعدم

عشرات من أعضاء مجلس الشيوخ، وصادر كثيراً من ضياع الأشراف حتى آلت إليه أملاك نصف شبه الجزيرة. ثمَّ ملأ الأماكن التي خلت في مجلس الشيوخ بأعضاء اختارهم بنفسه من بلاد الشرق التي تدين بالنظام الملكي، وأخذ كبار رجال القانون في ذٰلكَ يجمعون الحجج التي يؤيِّدون بها السلطة المطلقة. وأغفل **سبتموس** شأن المجلس إلا حين كان يبعث إليه بأوامره؛ وبسط سلطانه الكامل على أموال الدولة علىٰ اختلاف مصادرها، وأقام حكمه علىٰ تأييد الجيش من دون خفاء، وحوَّل الزعامة إلىٰ مَلَكية عسكريَّة وراثيَّة، وزاد عدد رجال الجيش، ورفع رواتب الجند، وعمد إلىٰ الإسراف في أموال الدولة حَتَّىٰ كاد ينضب معينها.

نعم، لقد دخل روما من دون مقاومة وبموكب مهيب، ولٰكن بعد سلسلة معارك، وبعد تنصيبه قيصراً لم تستقر الأمور علىٰ الفور، فبعد أن استطاع سيڤروس تأمين خلفيته الأوروبية كاملة تقريباً وثب أمامه **بشينيوش نيجر** حاكم سوريا الذي وضع عينه علىٰ العرش الروماني فراح يوسع نفوذه وسيطر علىٰ المنطقة الشرقية للإمبراطورية واتخذ من بيزنطة قاعدة لعملياته ضد قوات الإمبراطور **سيڤروس**. ولٰكنَّ **نيجر** وقواته لم يستطيعوا التقدم باتجاه أوروبا فانتقل ا لقتال إلىٰ الجبهة الآسيوية وانتهى **نيجر** بهزيمة ساحقة بعد شهور، في أواخر كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٣م لٰكنَّهُ هرب إلىٰ الجنوب... ووقعت آسيا تحت حكم **سيڤروس**، وبعدها مصر، وفي نهاية فصل الربيع تمت الهزيمة الساحقة **لنيجر** وقتل. وبقيت بيزنطا رافضة الاستسلام **لسيڤروس** علىٰ الرَّغْمِ من أنَّ سوريا كلها باتت تحت سلطته، فأرسل إليهم رأس **نيجر** لدفعهم للاستسلام

كونهم محاصرين، ولٰكنَّهُم لم يستسلموا فما كان منه إلا أن هدم أسوارها عقاباً لهم.

منذ تسلمه زمام الإمبراطورية أولى سوريا عامة اهتماماً بالغاً طيلة حكمة. ولأنه عاش في هٰذه البلاد سنين كثيرة فقد كان يعرفها ويعرف احتياجاتها وإمكاناتها فأنشأ الطرقات وأنشأ الحصون والقلاع ورمم الموجود منها من قبل حَتَّىٰ بلغت ٤٢ حصناً ما بَيْنَ دمشق وبعلبك وتدمر، وحدَّث الحياة الاجتماعية، وقام بتنظيم سوريا إداريًّا فسَّمها إلىٰ قسمين؛ القسم الأول سورية الشمالية الممتدَّة من أقصى الشمال إلىٰ السهول الممتدَّة علىٰ ضفَّتي العاصي حَتَّىٰ أنطاكيا، والقسم الثاني سورية الجنوبية التي تمتد من السواحل البحرية من الشمال إلىٰ أقصى جنوب سوريا الطبيعية امتداداً إلىٰ دمشق وحمص وتدمر.

لم يكن شأن مسقط رأسه أقل حظوة عنده، فعلىٰ الرَّغْمِ من بعض الاضطرابات التي كانت في ليبيا ذٰلكَ الحين فقد وجه عناية خاصة بالزراعة التي ازدهرت إزدهاراً كبيراً في ليبيا في أيامه، واهتم بالتجارة وكانت ليبيا تسمي آنداك مخزن الغلال في الشرق وكانت مركزاً تجاريًّا مهمًّا يشكل همزة وصل بين الشرق والغرب وبين أواسط أفريقيا وسواحل البحر الابيض المتوسط وأنشأ فيها العديد من المباني والحمامات ووسع من الأسواق والمسارح.

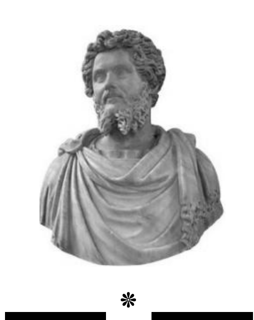
من المؤكد أَنَّهُ لم يترك الإمبراطورية لينشغل بسوريا وليبيا فقط، فسيرته بعد أن صار القيصر لا تقل عن سيرته قبل ذٰلكَ. إلىٰ جانب ما سبق الكلام فيه فإِنَّهُ بعد توليه استتبت له مقاليد السلطة حَتَّىٰ التفرد بها فقد قام بجهود كبيرة

وكثيرة ومتنوعة في الإصلاح وتحسين أوضاع الجيش والقضاة وإزالة مساوئ الفتن الأهلية علىٰ امتداد جغرافيا الإمبراطورية، فوجه كذٰلكَ العناية إلى الولايات إذا أقام المنشآت والأبنية العامة والحمامات وسواها. ووما فعله علىٰ صعيد تعزيز سلطته أنَّهُ جعل الخدمة العسكرية إلزاميَّة علىٰ كل الولايات عدا أهل ايطاليا، وقام بحلِّ الجيش البريتوري وأنشأ حرساً جديداً أعضاءه من سائر الولايات بعد أن كان هٰذا الحرس إيطاليًّا فقط، وبذلك أصبحت فيالق الولايات منذ ذٰلكَ الحين هي التي تختار الأباطرة لروما بعد أن فقدت العاصمة قدرتها علىٰ الحكم، فعزز تحويل الإمبراطورية إلىٰ ملكية وراثية.

وإلىٰ جانب ذٰلكَ فإِنَّهُ لم يهدأ عن الحروب والقتال طيلة أعوام حكمه الثمانية عشر، فكان لا يشبع من أكاليل الغار كما قيل في وصفه. زاد عدد الجيش، ورفع رواتب الجند، وقاتل منافسيه، وقاتل لاسترداد مناطق قديمة، فأعاد بيزنطة إلىٰ سلطة الإمبراطورية، وضم الكثير من البلدان إلىٰ سلطة الإمبراطورية منها بلاد الرافدين، وقضى على الفتن، وخلص الإمبراطورية من تركة فساد الاستبداد التي تراكمت عشرات السنين بدءاً من **كاليجولا** مروراً **بنيرون** وصولاً إلىٰ **أنطونيوس**، فشهد له المؤرخون والمعاصرون بأنه أعاد لعرش روما مكانته وهيبتها ومنعتها.

صحيح أنَّهُ يكاد يكون أول إمبراطور روماني يموت علىٰ فراشه ميتة عادي، إلا أنَّهُ علىٰ رغم شيخوخته وكبر سنة، وعلىٰ الرَّغْمِ من مرضه بداء النقرس إلا لم يتوق عن الحرب وتسجيل الانتصارات. وفيما هو بهٰذه الحالة من الإجاد والمرض تابع إلىٰ كلدونيا وانتصر على الاسكتلنديين في وقائع عدَّة، ثم

عاد إلىٰ بريطانيا، وعندما وصل إلىٰ يورك كان علىٰ موعد مع ملك الموت في ٤ شباط/ فبراير ٢١١م. وفيما هو يلفظ أنفاسه الأخيرة قال حكمته الرائعة: «لقد نلتُ كلَّ شيءٍ، ولكن ما نلته لا قيمة له»، وكانت آخر وصاياه الحفاظ علىٰ الأسرة الامبراطوريَّة والعمل علىٰ استرضاء الجيش. تاركاً ولأول مرة في التاريخ وربَّما آخر مرَّة إمبراطورين علىٰ العرش ليحكما معا هما ولداه **كركلا وچيتا**.



*

عائلة القياصرة

الإمبراطورة جوليا دومنا



جوليا دومنا ـ Julia domna محور عائلة القياصرة أو الأباطرة السوريين الذين حكموا الإمبراطورية الرومانية فهي: إمبراطورة، زوجة إمبراطور، أم أباطرة، أخت أباطرة، خالة أباطرة. سلسلة أسرة حمصية عريقة في النبل والمكانة من أسياد المدينة الذين توارثوا الكهنوت وأبوها **جوليوس باسيان** ـ Basianus هو الكاهن الأعظم في حمص وفي الإمبراطورية الرومانية، وكان ذا أخلاق راقية وثقافة عالية وآداب سامية، وهٰذا ما هيَّأ لهذه العائلته تبوءَ مناصب رفيعة في الدولة الرومانية علىٰ الرَّغْمِ من كونهم نسب عربي صريح.

العبادة التي كانت منتشرة في إميسا أي حمص في تلك الأيام كانت عبادة الشمس ممثلة بإله الشمس إي جبل (إيلاغابال ـ Elgabal) واشتهرت حمص

بهيكلها الفاخر الذي فيه الحجر الأسود الهرمي، وكان يُشترَط أن يكون كهنة المعبد من أعيان البلد ومن أشهر أفراد الأُسَر، وكان **باسيانوس** والد **جوليا** هو كاهن المعبد وكبير الكهنة.

كانت **جوليا** هي الابنة الصغرى **لجايوس يوليوس باسيانوس**، ولدت في أغلب الأخبار وهي الأقرب للصواب في عام ١٦٦م، وذهبت بعض آخر إلىٰ أنَّ ولادتها كانت في عام ١٧٠م وهو احتمال ضعيف غير ممتنع. وفي بيت أبيها نشأت، وكانت علىٰ درجة كبيرة من الفطنة والذكاء والجمال والثقافة أيضاً وخاصَّة في العلوم الطبيعية والفلكية وتتكلَّم الآرامية. وكذٰلكَ كان شأن شقيقتها **جوليا ميساء** . Julia maesa وابنتيها **جوليا سُمَيَّة** . Julia somia **وجوليا ماميا** . Julia mamiaفقد كنَّ أيضاً علىٰ قدْر كبير من الثقافة والعلْم والثروة.

في أواسط العقد الثاني من عمرها اشتهرت بحمص ووأواسط سوريا عصابة يترأسها شخص يدعى **يوليوس إسكندر**، وقد عاثت هٰذه العصابة في البلاد فساداً بالسرقة وقطع الطرق وأقلقت الناس كثيراً وبثت الرعب في قلوبهم، ووصل أمرها إلىٰ **كومود** (الإمبراطور بَيْنَ عام ١٨٠م وعام ١٩٢م) ابن **أوُريليوس** وخشي من شرَّها فأرسل من يثق فيه من القادة العسكريين لوضع حدٍّ هٰذه العصابة، وكان هٰذا القائد هو السوري الأصل **سبتيموس سيڤروس** قائد الفرقة العسكرية الرابعة في الجيش الروماني، الذي لم يضيع وقتاً وتوجَّه إلىٰ المنطقة التى اعتصمت بها العصابة وطوَّقها وقضى عليها عام ١٧٩م. ولا ندري سبب بقائه في حمص بعد ذٰلكَ أطاب له المقام فأقام أم أبقاه الإمبراطور لغاية في نفسه أم

غير ذٰلكَ. ولٰكنَّ بقائه في حمص أوقع نظره علىٰ **جوليا دومنا** التي سحرته بجمالها وشعرَ بميلٍ عظيم إليها، وتقول بعض الروايات إنَّهُ «توسَّم لنفسه مستقبلاً عظيماً إذا تزوَّجها».

عبارة غريبة لها؛ كيف يتوسم لنفسه مستقبلاً بها وهي ابنة العشرين وهو ابن الأربعين من كبار قادة جيش الإمبراطورية الرومانية؟

يكمن سر ذٰلكَ في أنَّ من عجائب **سيڤروس** أنَّهُ كان يؤمن بالتنجيم وكان أكثر الناس براعة في تفسير النذر والأحلام. وحدث أن ماتت زوجته الأولى في فترة معرفته الصبية جوليا دومنا التي «دلَّ طالعها علىٰ أنَّها ستجلس علىٰ عرش من تتزوجه». وفي رواية أُخْرَىٰ أنَّهُ قد «سمع عن فتاة سورية من حمص يقول طالعها إنَّ زوجها سيصبح ملكاً». فطلبها من أبيها الذي لم يُمانع علىٰ الرَّغْمِ من أنَّهُ يكبرها بعشرين عاماً. وتزوجها عام ١٨٧م.

بعد زواجهما بأسابيع قليلة غادر **سيڤروس ودومنا** حمص متجهين إلىٰ فرنسا إذ تم تكليف **سيڤروس** بأن يكون حاكماً لإقليم الغال، وفي مدينة ليون بفرنسا أنجبت **جوليا دومنا** إبنها الأول **باسيان** وسُمِّي فيما بعد **كركلا** أو **كاراكلا** . Caracalla في الرابع من نيسان/أبريل ١٨٨م. وسرعان أيضاً ما انتقلت مع زوجها إلىٰ روما وفيها ولدت ابنها الثاني **بوبليوس ﭼيتا**. Geta في ٧ آذار/ مارس ١٨٩م.

بعد عامين من الإقامة في روما عاصمة الإمبراطورية انتقل **سيڤروس ودومنا** من جديد إلىٰ مكان جديد، كانت مهتمته الجديدة في النمسا، وكانت إقامته في كارنوتوم . Carnuntum شرقي ڤيينا منذ عام ١٩١م حَتَّىٰ عام ١٩٣م

الذي عاد فيها إلىٰ روما إمبراطوراً. ففي ٩ نيسان/ أبريل ١٩٣م، كما أشرنا في سيرته، نادى به الجنود ليكون القيصر، وفي التاسع من حزيران دخل روما. ونالت **جوليا دومنا** لقب المعظمة (Augusta)

كان **لجوليا دومنا** الأثر الكبير في الدولة فقد قاسمت زوجها المكانة والسلطان والنفوذ وكانت تدير معهداً في العلم والأدب والسياسة وتتكوَّن شخصياته من الرومان وأعيان السوريين واستعانت **بنوجين** كاتب التراجم والمؤرِّخ **ديوكاشيوس** والسفسطائي **بفيلوسترات** والفقيه الحقوقي السوري **بابنيانوس** الذي عيَّنه **سيڤروس** مستشاره القانوني ورئيس مجلس المستشارين كما عيَّن في المجلس الفقيه والحجة في القوانين الرومانية **يوليوس باولوس** - Julius paulus المولود بحمص. واعتمد أيضاً علىٰ شقيقتها **جوليا ميساء** وابنتيها **جوليا سميَّة وجوليا ماميا** إذ كنَّ علىٰ قَدْر كبيرٍ من الثقافة والعلم والثروة المالية الكبيرة.

أما **جوليا دومنا** فكما أكَّد المؤرخون فقد لطَّفتْ كثيراً من أخلاق زوجها العسكرية القاسية. ونظراً لما كانت تقوم به من نشاطات علمية وثقافية وإدارية فقد عليها عليها الرومان الكثير من الألقاب إبان حياتها وبعد موتها منها: أم القياصرة، أم الجيوش، أم الوطن، أم الشيوخ، كما نُقِشَت صورتها علىٰ النقود وأقيمت لها تماثيل ومعابد عديدة. وقد أجمع المؤرخون علىٰ أنَّها كانت الأعظم بَيْنَ نساء روما. حكمت علىٰ نحو غير مباشر إمبراطورية تمتد من سكوتلاندا وحَتَّىٰ العراق علىٰ امتداد حكم الأباطرة أو القياصرة الثلاثة زوجها وابنيها **چيتا وكاراكلا**.

منذ تسلم سيڤروس زمام الإمبراطورية رافقته **جوليا دومنا** في حروبه ومعاركه التي خاضها في كثير من أرجاء الإمبراطورية علىٰ الرَّغْمِ من أنَّهُ لم تكن من عادات الأباطرة أن ترافقهم زوجاتهم في حروبهم. ولذٰلك أطلقوا عليها لقب أم العسكر .mater castrorum، والألقاب التي خلعت عليها أكثر مما ذكرنا بكثير. وهٰذا ما أثار حفيظة القائد بلاوتيان الذي خشي من أنَّ وراء اتساع دائرة نفوذها طموح لها في الحكم، فحاول الوقوف في وجهها وصدها، ولٰكنَّهُ لم يتأت له ذٰلكَ إذ مات قتلاً علىٰ يد ابنها **كركلا** في عام ٢٠٥م، الأمر الذي فسح في المجال أماما أكثر لتمارس دورها كحاكمة إلىٰ جانب زوجها القيصر **سبتموس سيڤروس**، الذي مات خلال معاركه في بريطانيا، تاركاً العرش توريثاً شبه غير مسبوق في الإمبراطورية الرومانية؛ غير مسبوق بالتوريث بحدِّ ذاته، وغير مسبوق بأنه أراد أن يحكم ابناه **كركلا وچيتا** معاً إمبراطورين علىٰ عرش واحدٍ. ظاهرة غير مسبوقةٍ ولا ملحوقةٍ. وهٰذا من عجائب الأسرار التي لم نعرفها: لماذا أراد **سيڤروس** ذٰلكَ وهو علىٰ ما هو عليه من الحنكة والحكمة والدَّهاء؟

لم يكن لمثل هٰذا الأمر أن يتم لا بسهولة ولا بصعوبة. ولذٰلك بعد موت **سيڤروس** في ٤ شباط/ فبراير ٢١١م لم يلبث أن دب الخلاف بَيْنَ الشقيقين وغاب الوئام عنهما وهما كلاهما أصلاً شاب في مطلع العمر.

حكما معاً حسب رغبة أبيهما فترة لم تدم إلا شهوراً، كانت اليد الطولى فيها وكلمة الفصل للأكبر والبكر **كركلا**، ولٰكنَّ الخلاف والاختلاف ظلَّ يتصاعد حَتَّىٰ اقتربت الأمور من التحول إلىٰ حرب أهلية في الإمبراطورية الرومانية، وقد كتب المؤرخ هيروديان عن انقسام وشيك الوقوع في الإمبراطورية

الرومانية يكون الشرق فيه من نصيب **چيتا**. ولٰكنَّ جوليا دومنا هي التي عارضت هٰذا الانشقاق والتقسيم وحالت دون وقوعه. وفي الحادي عشر من كانون الأول ٢١١م كانت نهاية هٰذا الخلاف والصراع، فقد قام **كركلا** بدعوة أخيه **چيتا** إلىٰ لقاء مصالحة وقتله بحضور أمه **جوليا دومنا** التي حاولت أن تحميه فأصيبت أيضاً ببعض الجراح. وفي الوقت نفسه قتل الآلاف من أتباع أخيه ومنع إقامة مأتم لأخيه ومنع حَتَّىٰ إظهار الحزن عليه حَتَّىٰ الأم **جوليا دومنا** نفسها فرضت عليها هٰذه الأوامر، فعانت كثيراً من أن تكون ممنوعة من الحزن علىٰ ابنها والقاتل أيضاً ابنها.

لم تكن هٰذه الحادثة سهلة علىٰ دومنا، كادت تكون الضربة القاصمة لها، ولٰكنَّهَا علىٰ الأقل تركت جرحاً غائراً فائراً في قلبها، ولٰكنَّهَا مع كونها صارت تنفر من **كركلا** فقد بقيت تعامل معاملة الأباطرة، وظلَّت المسؤولة عن شؤون الإمبرطورية الرومانية من الناحية الإدارية، فقد كان ابنها مركزاً جهوده في الحروب والمعارك. فتابعت **جوليا دومنا** اهتمامها بالفلسفة والآداب والفنون وعقد حلقات للأدباء والفلاسفة في قصرها، ومنهم الكاتب **فلاڤيوس فيلوستراتوس** ـ Flavius Philostratos الذي طلبت منه أن يؤلف كتاباً عن حياة الفيلسوف الفيثاغوري **أبولونيوس** ـ Apollonius ففعل، ولٰكنَّهُ أنهاه بعد مماتها.

ومثلما رافقت زوجها في معاركه فقد رافقت ابنها أيضاً في معاركه، وفي عام ٢١٤م توجهت مع وابنها كركلا إلىٰ سوريا حَيْثُ بدأ سلسة معاركه مع الفرس، وكانت الضربة الصاعقة لها في الثامن من نيسان/ أبريل عام ٢١٧م

عندما قام أحد حراس القيصر كركلا بقتله في أثناء وجوده في الرها شمال سوريا، وكان ذٰلكَ بتحريض من القائد الروماني **مكرينوس** . Macrinus الذي أصبح قيصراً من بعده.

يبدو أن قيمتها ومكانتها وحضورها في إدارة شؤون الإمبراطورية كان أكبر من أن يُسْتَغنى عنه. فمع أن الإمبراطور **مكرينوس** هو من قتل ابنها الإمبراطور **كركلا** ومع ما أورثها ذٰلكَ من حزن شديد أضر بصحتها كثيراً، فقد احتفظت **جوليا دومنا** بصلاحيات كثيرة في زمن القيصر **مكرينوس** الذي خشي بعد حين من إمكانية استعادتها مجدها السابق في حكم الإمبراطورية، فأمرها بمغادرة أنطاكية ووضع حدًّا لنفوذها.

راحت صحتها تسوء رويداً رويداً وصولاً إلىٰ أن ماتت في عام ٢١٧م. نُقل جثمانها إلىٰ روما وعومل وفق تقاليد تأليه القياصرة. وحسب بعض المؤرخين المعاصرين فإن سلالتها من أولادها ماتزال موجودة حَتَّىٰ يومنا هذا في مدينة حمص تسمى آل **سيڤروس** وتوجد وثائق مسجلة في كنيسة أم الزنار المشهورة تثبت نسبهم إلىٰ هٰذه السلالة الإمبراطورية.



عملة تحمل صورة جوليا دومنا

*



عائلة القياصرة

الإمبراطور غيتا



مع **چيتا** Geta قيصر الإمبراطورية الرومانية الثالث والعشرون نحن أمام ظاهرة استثنائية غير مسبوقة وغير ملحوقة في التاريخ... فلا نعرف أنطلق عليه لقب إمبراطور أم نصف إمبراطور أم إمبراطور بالشراكة!

أن يشارك أباه الإمبراطور في الحكم فهٰذا أمر عاديٌّ مفهوم ومقبول، ولٰكنَّ غير المفهوم هي وصية الإمبراطور **سبتموس سيڤروس** أن يحكم بعده ابناه **كركلا وچيتا** الإمبراطورية معاً، وقد سبق أن أشركهما معه في الحكم وأعطاهما كليهما لقب قيصر وذٰلكَ تفادياً من تغلُّب أحدهما علىٰ الآخر بعد وفاته... وبالفعل حكماً معاً ردحاً من الزمن.

بوبليوس سبتيميوس چيتا أو **أوغسطس چيتا** ولد في روما في ٧ آذار/ مارس ١٨٩م، بعد سنة من ولادة أخيه **كركلا** الذي ولد في ليون بفرنسا، قبل أربع سنوات من أن يصبح أبوه **سبتموس سيڤروس** قيصر الإمبراطورية الرومانية.

شارك وأخوه الأكبر **كركلا** بالحكم مع أبيهما **سيبتيموس سيڤيروس** منذ سنة ٢٠٩م إلىٰ ٢١١م عندما توفي **سيڤروس**. وتفرد الأخوان **كركلا وچيتا** قيصران معاً علىٰ الإمبراطورية الرومانية منذ ٤ شباط/ فبراير ٢١١م. حكما البلاد معاً سحابة ما بقي من عام ٢١١م.

مهما بلغا من المحبة والتوافق فمن شبه المحال الاستمرار في إدارة شؤون البلد برأسين علىٰ عرش واحد. وهٰذا ما حدث بالفعل إذ سرعان ما بدأت الاختلافات وتصاعدت حَتَّىٰ تحولت إلىٰ ضعائن. كانت والدتهما **جوليا دومنا** تُصْلِح بَيْنَهما دائماً وتخفف التوتر باستمرار، ومع ذٰلكَ لم تستطيع أن تجعل المركبة تسير علىٰ سكة الصواب.

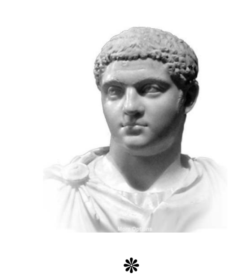
لم يتوقف التوتر بَيْنَ الشقيقين حَتَّىٰ إنَّهُما فكرا في تقسيم الإمبراطورية إلىٰ قسمين بحيث يحتفظ **كركلا** بأوروبا ويتخذ من روما عاصمة له، وأن تكون آسيا ومصر من نصيب **چيتا** الذي يمكن أن يتخذ من أنطاكية أو الاسكندرية عاصمة له، ولٰكنَّ أمهما أقنعتهما بعدم القيام بذٰلكَ.

حَتَّىٰ جاء الأسبوع الثاني من آخر عام ٢١١م، وتحديداً في الحادي عشر من كانون الأول ٢١١م وحمل معه نهاية هٰذا الخلاف والصراع، فقد قام **كركلا** بدعوة أخيه **چيتا** إلىٰ لقاء مصالحة وقتله بحضور أمه **جوليا دومنا** التي حاولت أن تحميه فأصيبت أيضاً ببعض الجراح. يبدو فيما ترى بعض الروايات التاريخية أنَّ

الشعب كان أميل إلىٰ الإمبراطور **چيتا** وكان يحبه أكثر، وفي هٰذا ما يفسر لماذا في الوقت نفسه قتل الآلاف من أتباع أخيه ومنع إقامة مأتم لأخيه ومنع حَتَّىٰ إظهار الحزن عليه حَتَّىٰ الأم **جوليا دومنا** نفسها فرضت عليها هٰذه الأوامر، فعانت كثيراً من أن تكون ممنوعة من الحزن علىٰ ابنها والقاتل أيضاً ابنها.

وفي رواية أُخْرَىٰ ضعيفة أَنَّهُ ثار عتاب بَيْنَهما بحضور والدتهما فهجم **كركلا** علىٰ أخيه **چيتا** وقتله سنة ٢١٢ م.

في الحالين كليهما انتهت الشراكة الإمبراطورية بَيْنَ الإمبراطورين أو القيصرين. وتفرد **كركلا** وحده بالسلطة.



*



عائلة القياصرة

الإمبراطور كاراكلا



بعد زواجهما بأسابيع قليلةٍ غادر القائد الروماني السوري الأصل **سبتموس سيڤروس** وزوجته **جوليا دومنا** حمص متجهين إلىٰ فرنسا إذ تم تكليف **سيڤروس** بأن يكون حاكماً لإقليم الغال، وفي الرابع من نيسان/أبريل ١٨٨م، في مدينة لوگدنوم وهي اليوم ليون بفرنسا ولد الابن الأول لهما وسمياه **باسيان** وسُمّي فيما بعد **كركلا** أو **كاراكلا** . Caracalla نسبة إلىٰ الكاركال أو إزاره المميز كالبرنس بل هو العباءة السورية التي كان يرتديها وأصبحت موضة في كثير من أرجاء الإمبراطورية.

وفي روما التي انتقل إليها والداه بعد وقت قصير من ولادته ولد شقيقه **بوبليوس چيتا**. Geta في ٧ آذار/ مارس ١٨٩م، وهٰذا الشقيق الذي يصغره

بسنة واحدة سيكون شريكه رسمياً في السنة الأولى من حكمة بناء علىٰ توصية حازمة ومرتبة من أبيهما الإمبراطور **سبتموس سيڤروس**.

شارك **كركلا** برفقة أخيه الأصغر **چيتا** بالحكم مع أبيهما **سبتيموس سيڤيروس** منذ سنة ٢٠٩م، وكان **لكركلا** اليد الأطول كونه الأكبر. وأن يشارك الابن أباه الإمبراطور في الحكم فهٰذا أمر عاديٌّ ومفهوم ومقبول، ولٰكنَّ غير المفهوم هي وصية الإمبراطور **سبتموس سيڤروس** أن يحكم بعده ابناه **كركلا وچيتا** الإمبراطورية معاً، وما كان إشراكهما معه في الحكم إلا تمهيداً وتأسيساً ليكونا شريكين في الإمبراطورية بعد وفاته، بل لقد أعطاهما كليهما لقب قيصر تفادياً من تغلُّب أحدهما علىٰ الآخر بعد وفاته... وبالفعل حكم الأخوان **كركلا وچيتا** قيصران معاً علىٰ الإمبراطورية الرومانية منذ ٤ شباط/ فبراير ٢١١م. حكما البلاد معاً سحابة ما بقي من عام ٢١١م.

من البداهة بمكان أنَّ مثل هٰذه الشراكة محكوم عليها بالإعدام مهما التوافق بَيْنَ الشريكين. فمن شبه المحال إن لم يكن المحال بعينه الاستمرار في إدارة شؤون البلد برأسين علىٰ عرش واحد. وهٰذا ما حدث بالفعل إذ سرعان ما بدأت الاختلافات وتصاعدت حَتَّىٰ تحولت إلىٰ ضعائن. كانت والدتهما **جوليا دومنا** تُصْلِح بَيْنَهما دائماً وتخفف التوتر باستمرار، ومع ذٰلكَ لم تستطيع أن تجعل المركبة تسير علىٰ سكة الصواب. حَتَّىٰ جاء الأسبوع الثاني من الشهر الأخير في عام ٢١١م، وتحديداً في الحادي عشر من كانون الأول ٢١١م وحمل معه نهاية هٰذا الخلاف والصراع، فقد قام **كركلا** بدعوة أخيه **چيتا** إلىٰ لقاء

مصالحة وقتله بحضور أمه **جوليا دومنا** التي حاولت أن تحميه فأصيبت أيضاً ببعض الجراح. وفي رواية أُخْرَىٰ ضعيفة أَنَّهُ ثار عتاب بَيْنَهما بحضور والدتهما فهجم **كركلا** علىٰ أخيه **چيتا** وقتله سنة ٢١٢م، بل ثَمَّة رواية ثالثة تقول إِنَّهُ أرسل إليه من قتله.

ثمَّ قتل صهره وابن عمه **جيوس فلفيوس** وأعدم أنصاره وقتل كل من له علاقة بأخيه بل كل من يحمل له ودًّا. لقد قتل أكثر من عشرين ألفا من الرجال والنساء. كان الشعب يميل إلىٰ الإمبراطور **چيتا** وكان من نتائج قتله وقتل كل هٰؤلاء البشر أن أصبح الإمبراطور **كركلا** مكروها من الشعب وعلىٰ الفور أطلق عليه الشعب قاتل أخيه. ومنع إقامة مأتم لأخيه ومنع حَتَّىٰ إظهار الحزن عليه حَتَّىٰ الأم **جوليا دومنا** نفسها فرضت عليها هٰذه الأوامر، فعانت كثيراً من أن تكون ممنوعة من الحزن علىٰ ابنها والقاتل أيضاً ابنها.

ولما تذمر الجيش منه إثر مقتل **چيتا** أسكته بأن نفحه بهبة تعادل كلَّ ما ادخره **سبتميوس** من الأموال.

طلب من الفيلسوف الشهير **سينكا** أن يعد رسالة تسوغ هٰذا القتل موجهة إلىٰ مجلس الشيوخ، ففعل . ثمَّ طلب من **بابنيان** السوري سيد الحقوقيين والقوانيين في عصره أن يصوغ رسالة يلتمس فيها الأعذار لجريمته التي ارتكبها بقتل أخيه ويجد من خلالها مخرجاً له أمام مجلس الشيوخ، ولٰكنَّ المفاجأة التي صعقت الإمبراطور **كركلا** لأنه لم يخطر في باله أن يتوقعها هي رفض رجل العدالة هٰذا الأمر، وقال بإباء وشجاعة

مؤثراً فقدان حياته علىٰ ضياع شرفه: «إنَّ قتل الأشقاء أهون من تسويغ هٰذا القتل». وبعد إلحاح الإمبراطور قال **بابنيان** عبارته الشَّهيرة التي ما زالت منذ ذٰلكَ الحين ترن في أروقة المحاكم: «إنَّ ارتِكَابَ جَرِيْمَةِ قَتْلٍ أَهْوَنُ مِنْ تَسْوِيْغِ هٰذا القَتْل». وعندما طلب منه الإمبراطور أن يعتبر عمله دفاعاً عن النفس ردَّ عليه قائلاً: «إنَّ اتهام قتيلٍ بريءٍ بالقتل قتل ثانٍ له». وكان هذا الجواب المشهور سبب فقده حياته، إذ ما كان من الإمبراطور إلا أن أمر الجنود المحيطين به بقتله، فتقدَّم أحدهم ببلطة، فما كان من **بابنيان** إلا أن نهره لاستخدامه البلطة بدلا من السيف، فاستجاب له وقتله بالسيف لينهي حياته شهيداً للعدالة التي سلخ عمره تأسيساً له ودفاعاً عنه حَتَّىٰ آخر لحظة وكلمة في حياته. وبعد أن كان الشعب يطلق علىٰ الإمبراطور **كركلا** لقب «قاتل أخيه»، صار يطلق عليه لقب «قاتل أخيه **وبابنيان**».

وعلىٰ الرَّغْمِ من ذٰلكَ كله فإنَّ ضميره كان يوبِّخه علىٰ قتل أخيه **چيتا** وقتل الفقيه **بابنيان** الذي كان في عمر ٣٧ سنة.

وعلىٰ أيِّ حالٍ، انتهت الشراكة الإمبراطورية بَيْنَ الإمبراطورين أو القيصرين. وتفرد **كركلا** وحده بالسلطة. ولم تجد والدته بدًّا من أن تقف إلى جانبه وهو في ريعان الشباب لم يتجاوز عمره ٢٣ سنة. وقد لعبت والدته دور الوزير الأمين طيلة ما بقي من حكمه، بل يصح القول إنها كانت المسؤولة عن شؤون الإمبرطورية الرومانية من الناحية الإدارية لأنَّ ابنها الإمبراطور **كركلا** قد ركَّز أغلب جهوده في الحروب والمعارك. فهو لم يختلف شأنُه عن شأن أبيه في

تحركه علىٰ مختلف جبهات العمل؛ العسكري، والمدني، والسياسي... وإن كانت الحروب رأس أولياته بحكم الضرورة وطبيعته.

كان **كركلا** وسيماً جدًّا، لم تغادره وسامته مع بلوغه سن الرشد التي تحول فيه طبعه إلىٰ الشدة والجلافة والقسوة، وقد صار مفتتناً بالصيد والحرب، يقنص الخنازير البرية، وينازل أسداً بمفرده، ويحتفظ بعدد من الأسود بالقرب منه في قصره، واتخذ منها رفيقاً له في بعض الأحيان يجالسه على مائدته وينام معه في فراشه.

بكل تأكيدٍ لم يكن ملاكاً ، ولٰكنَّ المؤكد حسب أكثر من محقق تاريخي أنَّ بعض المرويات عنه صيغت انتقاماً منه من بعض أعضاء مجلس الشيوخ إذ إِنَّهُ كان يبقي أعضاء الشيوخ زمناً طويلاً في حجرات الانتظار حَتَّىٰ يفرغ من إعداد الطعام والشراب لرفاقه. ويقال إِنَّهُ حكم بالموت علىٰ أربع من العذارى الفستية، اتهمهن بالزنا، وكان يفضل الجنود والفقراء علىٰ رجال الأعمال والأشراف، وقالوا إِنَّهُ اشتدَّ به نهمه علىٰ جمع المال فضاعف ضريبة التركات بأن جعلها عشرة في المائة من مقدار التركة؛ ولما رأى أنَّهَا لا تنطبق إلا علىٰ المواطنين الرومان وسَّع دائرة هٰذه الحقوق حَتَّىٰ شملت جميع الراشدين من الذكور الأحرار في الإمبراطوريَّة كلها، هٰذا الأمر ذاته الذي يحسبه المؤرخون له ميزة في التشريع هي إصدار القانون الذي منح بموجبه الجنسية الرومانية لكل سكَّان الإمبراطورية، فأدَّى ذٰلكَ إلىٰ إملاء الخزينة بعائدات الرسوم التي تقاضتها الإمبراطورية من جميع الذين كانوا يؤدُّونها بطيبة خاطر لحصولهم

علىٰ الجنسية الرومانية، وكان كما يقال عنه يمدُّ يد العون لكل من يلوذ به، وكان كثير التجوال في الولايات التابعة لإمبراطوريته. كما حصلت كل النساء في الامبراطورية على نفس حقوق النساء الرومانيات.

ومن أعماله إنشاء الرواق والباحة أمام الهيكل في بعلبك، وأضاف إلى زينات روما قوساً أقامه **لسبتميوس سفيروس** لا يزال باقياً إلى اليوم، وحمَّامات عامة كثير منها ما زالت قائمة حَتَّىٰ الآن باسم حمامات **كركلا** منها حمامات **كركلا** في روما الضخمة التي تشهد بما كانت عليه من عظمة وجلال تمتد على مساحة قدرها ١١ هكتار وكانت تتسع لألف وستمائة زائر.

ومما تنقله بعض الروايات التاريخية أنَّهُ حينما سمع سكان الإسكندرية أنَّ **كركلا** زعم أنَّهُ قتل **چيتا** دفاعاً عن النفس، كتبوا هجاءً يسخرون فيه من ذٰلكَ الزعم مع شتائم أُخْرَىٰ واتهامات باطلة مشينة، فما كان منه إلا أن ذهب بنفسه في عام ٢١٥م إلىٰ الإسكندرية ورد علىٰ الإهانة بأن قام بذبح وفد عليَّة القوم الذين قدموا للترحيب به في مدينتهم. ثمَّ أمر قواته بالقيام بالمذابح والحرق والنهب بالمدينة لبضعة أيام. وفي رواية أُخْرَىٰ أنَّهُ أراد أن ينتقم من هذه الإهانة وأمثالها من جهة، وأن يأمن علىٰ نفسه من ثورة تتقد نارها في مصر أثناء حروبه لبارثيا من جهة أُخْرَىٰ، فزار المدينة وأشرف بنفسه علىٰ قتل جميع أهل الإسكندرية القادرين علىٰ حمل السلاح. لقد كان السكندريون محتجين أصلاً علىٰ الحكم الروماني، ولٰكنَّ قصيدة الهجاءِ البذيئة المهينة التي قيلت بكركلا أدت إلىٰ قتل ما يزيد عن عشرين ألف اسكندراني.

وبعد المذبحة توجه **كركلا** شرقاً إلىٰ أرمينيا. وبحلول ٢١٦م، كان قد عبر أرمنيا وتوجه جنوباً إلىٰ بارثيا. لقد استولت علىٰ الإمبراطور **كركلا** فكرة غزو الشرق تشبُّها رُبَّما تشبُّها **بالإسكندر المقدوني** فانتقل إلىٰ أنطاكية ليقوم بمهاجمة بارثيا، وعهد إلىٰ والدته **جوليا دومنا** تصريف شؤون الحكم المدني واعتبرها أمينة سرِّه ورئيسة ديوانه، تستلم الرسائل وتجيب عليها، لذا فهي تحلُّ محله في استقبال رجال الدولة والأجانب. وقد عُرفت تلك النزاعات والمناوشات باسم الحرب البارثية **لكركلا**.

للوصول إلىٰ هٰذه الغاية أنشأ فيلقاً من ١٦٠٠٠ جندي سمَّاه فيلق **الإسكندر**، وسلَّحه بأسلحة مقدونيَّة من الطراز القديم، وكان يأمل أن يُخضع به بارثيا كما أخضع **الإسكندر** فارس. وبذل كلَّ ما يستطيع من الجهد ليكون جنديًّا عظيماً، فكان يشارك جنوده في طعامهم وكدحهم، وسيرهم الشَّاق الطَّويل، وكان يساعدهم في حفر الخنادق، وإقامة الجسور، ويظهر الكثير من ضروب البسالة في القتال، وكثيراً ما كان يتحدَّى أعداءه ويطلب إليهم أن يبارزوه رجلاً لرجل؛ ولٰكنَّ رجاله لم يكن لهم مثل ما كان له من رغبة في قتال البارثيين، بل كان حبهم للغنائم أكثر من حبهم للقتال، فكان النصر لمثل هٰذا الجيش صعباً ورُبَّما محالاً.

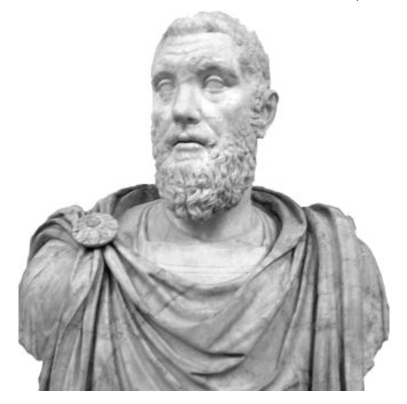
في هٰذه الأجواء التي كان يحاول فيها إخضاع البرثيين في الشرق، في الثامن من نيسان/ أبريل عام ٢١٧م، في أثناء وجوده في الرها شمال سوريا، قيل: اقترب منه أحد حراسه وقتله بتحريض من قائد حرسه **مكرينوس** . Macrinus، وفي رواية أُخْرَىٰ؛ اغتاله رئيس الحرس **مكرينوس**، وأرسل رماده إلىٰ أمِّه.

أعلن **مكرينوس** نفسه إمبراطوراً، وأمر مجلس الشيوخ، بعد أن أظهر بعض التردد، بأن يتخذ **كركلا** إلهاً. وبقيت صلاحيات **جوليا دومنا** كما هي تقريباً إلىٰ أن انتبـه **مكرينــوس** إلىٰ خطـورة عـودة سـيطرتها علـىٰ الإمبراطوريـة فنفاهـا إلىٰ أنطاكيا وأصبحت وحيدة بعدما فقدت وجها وأولادها ولم يطل بها الأمر حَتَّىٰ امتنعت عـن الطعـام حَتَّىٰ توفِّيـت وأعيـد رفاتهـا إلىٰ المقـبرة الإمبراطوريَّـة في رومـا باحتفال مهيب. بقي أن تعلم هنا أنَّ **مكرينوس** سوري أيضاً، ستكون لنا وقفة معه لاحقاً.



*

الإمبراطور ماكرينوس



لم يوجد من قال بأنَّه سوريٌّ، ولٰكنَّ الأكيد المقطوع فيه أنَّهُ من أصول بربرية عربية. اسمه **ماكرينوس** أو **مكرينوس** - Marcus Opellius Macrinus ، ولد في مدينة شرشال الجزائرية، عاصمة ولاية موريتانيا القيصرية[٨].

ليس من سلالة الأباطرة التي نحن في كنف الحديث عليها الآن، ولكننا نورده فيما بَيْنَها لأنَّهَا جزءة من المرحلة بمختلف المعاني عَلىٰ نحو يشبه كونه جزءاً من العائلة. حاز ثقة الإمبراطور **كركلا**، فعينه قائد فرقة الحرس الإمبرطوري البريتوريا. وأصبح من ثمَّ من كبار مساعديه، ولٰكنَّهُ غدر به وقتله، وإن لم يقتله بيده فهو المدبر لقتله فثَمَّة في ذٰلكَ روايتان. ففي نيسان/ أبريل عام ٢١٧م، عندما كان **كركلا** في مدينة الرها يحضر للحملات العسكريَّة ضدَّ الإمبراطورية البارثية، دبر **ماكرينوس** حادثة

---

(٨) . يمكن العودة إلىٰ الويكيبيديا الإنجليزية لمزيد من المعلومات، وكتب تاريخ القياصرة الرومان.

مقتلـه، وأعلـن نفسـه إمبراطـوراً مـن أنطاكيـا، ومكـث فيهـا طـوال مـدَّة حكمـه الـتي لم تمتـد أكثـر مـن سـنة. وقَّـع فيهـا عـدَّة معاهـدات سـلام مـع المملكـة الأرمينيـة وداقيـة وبارثيـا. أمَّـا علـىٰ الصَّـعيد المـالي فـاتبع ترتيبـات **سبتيموس سيفيروس** الماليَّة فزاد من قيمة الدينار والفضة.

بعضـهم يعـزو الإطاحـة بحكمـه إلىٰ هٰـذه الإصـلاحات الماليـة الجديـدة الـتي لم تـرق للجـيش. ولٰكـنَّ الحقيقـة كانـت في أنَّ **جوليـا ميسـاء**، كمـا بينـا في عائلـة القياصـرة، مصـمِّمة علـىٰ اسـترداد العـرش مـن **مـاكرينوس**، فادَّعـت بـأنَّ حفيـدها **إيـل جبـل**، كـاهن معبـد الشـمس في حمـص، هـو ابـن **كـركلا** غـير الشَّـرعي مـن ابنتهـا، ومـن حقِّـه اسـترداد عـرش والـده، فـأُعلن **إيـل جبـل** امبراطـوراً في حمـص عـام ٢١٨م ولم يـزد عمـره حينهـا عـن ١٤ عامـاً، وهاجمـت جيـوش **إيـل جبـل** بـدورها إنطاكيـا واسـتطاعت هزيمـة **مـاكرينوس** وقطع رأسه هو وولده البالغ من العمر ١٠ سنوات.



*

عائلة القياصرة

الإمبراطورة جوليا ميساء



مثل كثيرٍ من الأسماء السورية القديمة وحَتَّىٰ غير السورية ليس من الغريب أن تجد أكثر من كتابة أو تلفظ لأي اسم بسبب اختلاف لغة المترجم أو كفاءته، وبسبب العشوائية التي يعيشها العرب وعدم وجود تنظيم أو تنسيق لغوي مشترك ولذٰلك حَتَّىٰ في غير هٰذه الأسماء تجد اختلافات إما في الترجمة أو الكتابة أو كليها.

فيما يخصنا هنا بعضهم يسميها **جوليا ميزا**، وبعضهم يسميها **جوليا ميسا** والصواب عندي **جوليا ميساء** . julia maesa وبتخفيف الهمز ممكن، وليس مِيْسَا. حَتَّىٰ الموسوعة الإنجليزية تعرف اسمها بأنه اسم عربي يعني المشية المتمايلة للأنثى (ميساء). وتضيف بأنه اسم مناسب للأمثى، وقد استخدمه الشعراء العرب كثيراً في وصف عشيقاتهم.

جوليا ميساء الشقيقة الكبرى **لجوليا دومنا** التي تستعيد روما من جديد بعدما خسرها السوريون بمقتل القيصر **كركلا**. بل إنَّ بعضهم يقول إنَّ الدَّور الحمصيَّ الحقيقيَّ في حياة الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة قد بدأ مع **جوليا ميساء**.

بيده أو بتحريض منه قام **مكرينوس** قائد حرس الإمبراطور **كركلا** بقتله في الثامن من نيسان/ أبريل عام ٢١٧م، في أثناء وجوده في الرَّها شمال سوريا. وأعلن نفسه إمبراطوراً. ولٰكنَّ الذي بدا واضحاً أنَّ نفوذ كركلا وسطوته كانت أكبر بكثير من قدرة **مكرينوس** الذي تحايل دعا مجلس الشيوخ إلىٰ إعلان **كركلا** إلهاً ليكسب شرعية القبول به إمبراطوراً.

ولم تتوقف هنا مصاعب الاستيلاء علىٰ السلطة فقد صدم بنفوذ أمه الإمبراطورة **جوليا دومنا** التي بدا له أنَّ قيمتها ومكانتها وحضورها في إدارة شؤون الإمبراطورية كان أكبر من أن يُسْتَغنى عنه. فمع أن الإمبراطور **مكرينوس** هو من قتل ابنها الإمبراطور **كركلا** ومع ما أورثها ذٰلكَ من حزن شديد أضر بصحتها كثيراً، فقد اضطر للاعتراف بصلاحياتها الكثيرة واستمرارها في إدارة كثير من الشؤون التي كانت تديرها. ولٰكنَّ **مكرينوس** سرعان ما تنبه إلىٰ مخاطر بقائها وخشي من إمكانية استعادتها مجدها في حكم الإمبراطورية، فأمرها بمغادرة أنطاكية ووضع حدًّا لنفوذها وأيضاً وضع حدًّا لنفوذ أختها **جوليا ميساء** التي كانت سند **جوليا دومنا** وبيدها أيضاً الكثير من مقاليد الأمور ومفاتيح السلطة وأمرها أن تغادر هي وأفراد أسرتها مع أختها.

امتثلت **ميساء** لأمر الإمبراطور وعادت إلىٰ سوريا. عادت إلىٰ سوريا ولٰكنَّ المؤكَّد تماماً أنَّ عينها بقيت علىٰ روما وفي رأسها أفكار تدور ومشاريع تمور.

جوليا ميساء هي الأخت الكبرى **لجوليا دومنا**. لا ندري علىٰ وجه التحديد تاريخ ولادتها فثَمَّة من يقول إِنَّهُ في عام ١٦٠م، وثَمَّة من يراه في عام ١٦٥م. لٰكنَّ الغريب وسط ذٰلكَ أنَّهُ ثَمَّة اتفاق أو شبه اتفاق علىٰ تاريخ ميلادها هو ٧ أيار/ مايو. رافقت أختها إلىٰ روما وعاشت هناك حياة الأباطرة وتعلَّمت أساليب الإدارة وفنون السِّياسة من خلال توجيهات أختها الحكيمة ولم تكن أقل فطنة وحكمة من أختها بحال من الأحوال، ولذٰلك كانت كأختها الصغرى جوليا دومنا في عرف وإجماع المؤرخين الغربيين إحدى أكثر النساء الرومانيات خلف عرش روما قوَّةً، وإليها يعود الفضل فيما يرى بعض بإنقاذ السلالة من الموت بعد اغتيال **كركلا** من قبل **مكرينوس** واعتلائه العرش.

كانت **جوليا ميساء** متزوجة بنبيلٍ سوري اسمه **يوليوس أفيتوس أليكسيانوس** ولها منه بنتان **جوليا سميَّة، وجوليا ماميا**، وبفضل أمهما **ميساء** ستصبح كلٌّ منهما أمًّا لإمبراطور.

عادت **جوليا ميساء** مع أختها وأفراد أسرتها إلىٰ سوريا، وإذا كانت **جوليا دومنا** مكلومة وقد ملت من العمل السياسي فإنَّ **جوليا ميساء** عادت إلىٰ سوريا وعينها علىٰ روما وترى أنَّها بدأت من جديد.

عادت ومعها ثرورة ضخمة سمح لها **مكرينوس** بالاحتفاظ بها، وما إن استقر بها المقام في حمص التي عادت إليها حَتَّىٰ بدأت العمل الممنهج علىٰ

استعادة العرش. وعلىٰ الرَّغْمِ من صغر سن حفيديها **إيل جبل** الذي كتب اسمه بأكثر من طريقة من أشهرها **إيلاغابال وإيلاغابلوس** ابن **جوليا سمية**، **وإسكندر سيڤروس** ابن **جوليا ماميا**، فقد بدأت بإعداد **إيل جيل** لارتقاء العرش ولم تنس تأهيل **إسكندر سيڤروس** من باب الاحتياط.

فور عودتها بدأت بالتَّخطيط للإطاحة **بمكرينوس** وتنصيب حفيدها الأكبر **إيل جبل**، ولأنه كان صغيراً لا يزيد عمره عن أربعة عشر عاماً ولكي تؤسس لشرعيته في السلطة راحت تروج أنَّ **إيل جبل** الإمبراطور القادم هو الابن غير الشَّرعي للإمبراطور **كركلا**... ضاربة وابنتها عرض الحائط بالأخلاق وسمعة ابنتها وزوج ابنتها النبيل السوري **سيكستوس فاريوس ماركلوس** الذي كان قد توفي قبل حين خلال حكمه لإحدى المقاطعات الرومانية. ونجحت الجوليتان؛ **جوليا** الأم **وجوليا** الابنة، في ترويج هٰذه الشَّائعة ونشرها علىٰ أوسع نطاق.

كان جيش الشرق الرُّوماني الموجود في سوريا يتمركز علىٰ نحو الخصوص في حمص، وسرعان ما بدأت **جوليا ميساء** بالتواصل مع الضباط وتحريضهم علىٰ احتلال روما وخلع **مكرينوس** القاتل مغتصب العرش. وكانت تغدق عليهم العطايا وتعدهم بالمزيد من المكافآت حال النجاح في خلع الإمبراطور القاتل مغتصب العرش. وإلىٰ جانب ثورتها الطائلة فقد موَّلت حملتها من كنوز معبد حمص حيث كان يحتفظ بالحجر الأسود النَّيزكي الشَّهير.

بعد حملة التَّمهيد هٰذه توجهت إلىٰ مركز قيادة جيش الشَّرق الرماني في حمص، وخطبت فيهم خطاباً حماسيًّا طالبت فيه بتنصيب

حفيـدها كـاهنَ المعبـد حمـص الصـغير **إيــل جبــل**، أو إلـه الجبـل أو الإلـه الجابـل الخـالق، إمبراطـوراً. ووعـدتهم بأنَّهَـا إذا اختـاروا **إيــل جبــل** إمبراطـوراً فإنَّهَا ستجزل لهم العطاء والتكريم.

أيَّـدها القــادة وقــرَّروا خــوض الحــرب معهــا. لم تعطهــم الفرصــة للتراجـع فبأسـرع وقـت ركبـتْ **جوليـا ميسـاء** جوادهـا وحمَّلـت عرباتها بـذهب الهيكـل وقـادت الجـيش باتِّجـاه الشّـمال لتقابـل جـيش الغـال القـادم بقيـادة الإمبراطـور **مكرينـوس** لإخضـاع المتمـرِّدين في الشّـرق والقضـاء علىٰ مـا سمَّـاه الفتنــة. وقبــل أي مواجهــة كانــت قــد ضــمَّت أيضــاً بــذهبها إلىٰ صــفها الجيش الذي سيَّره **مكرينوس** لقتالها.

التقى الجيشـان في سهلٍ قرب أنطاكية، ولما ظهر **مكرينـوس** نفسه علىٰ رأس قـوَّةٍ كبـيرةٍ، تـردَّد فريـق ممـن معهـا في ولائهـم، فمـا كـان مـن **جوليـا ميسـاء وجوليـا سـمية** إلا أن قفزتـا مـن مركبتيهمـا، وقادتـا الجيش المتردِّد إلىٰ النصر. وفرَّ **مكرينـوس** منفـرداً متنكِّـراً بـزيٍّ آخـر، ولم يكـن ذٰلـكَ لينجيـه مـن الأعـين الـتي ترصده، فوصلوا إليه وقطعوا رأسه وأرسلوه لسيِّدتهم ليرتاح بالها.

في ٨ حزيران من عام ٢١٨م قامت **جوليا ميساء** بتنصيب حفيدها **إيـل جبـل** إمبراطـوراً علىٰ رومـا وهـو في الرَّابعـة عشـرة مـن عمـره، وعـاد حكـم رومـا للحمصيين بعد أقل من عامٍ من فقدانه.

لــن نسـتفيض في سـيرة **إيــل جبــل** لأننـا سـنعود إليهـا في موضـعها، يكفينـا أن نشـير هنـا إلىٰ أنَّـهُ وهـو ابـن الرابعـة عشـرة مـن عمـره لم يسـتطع الصـمود أمـام مغريـات السـلطة، فعلـىٰ الـرَّغْمِ مـن كونـه كاهنـا قديسـاً فقـد

كـان مراهقـاً متقلِّـب الأهـواء والرغبـات غلبتـه حيـاة الأبـاطرة فـانجرف إلىٰ المجـون والخلاعـة حَـتَّىٰ ثـار غضـب مجلـس الحكـم وقـادة الجـيش فانتفضـوا عليـه وقتلـوه مـع أمِّـه **جوليـا سـميَّة** وسـحلت جثَّتـه في الأسـواق ثمَّ ألقيـت في نهر التِّيبر في ١١ آذار/ مارس ٢٢٢م.

كانت **جوليا ميساء** قد أدركت من قبل اقتراب مثل هٰذه النهاية فسارعت إلىٰ **إيـل جبـل** وطلبـت منـه أن يعـين ابـن خالتـه حفيـدها الثـاني **الإسـكندر سيڤروس** وليًّا للعهـد، وعلىٰ الفـور بـدأت بإعـداده للحكـم مـن خـلال تثقيفـه وتدريبـه فاختـارت لـه أهـمَّ الفلاسـفة والمربِّين في تلـك الفـترة ليكونـوا عونـاً لـه في مهمَّته القادمة. وعندما وقع ما كان متوقعاً واغتيل **إيل جبل** كان حفيدها الثَّاني جاهزاً لاستلام الحكـم فتمكَّن مـن إدارة الدَّولة ثلاثة عشر عاماً كانت بشـهادة المؤرِّخين من أفضل السِّنين في حياة الإمبراطورية.

ولٰكـنَّ القـدر لم يمهلهـا كثـيراً لتسـتمتع بنتيجـة سـعيها وعملهـا فقـد توفيـت في عـام ٢٢٣م، وإن لم يكـن فموتهـا، بروايـة أُخْـرَىٰ، علـىٰ أيِّ حـالٍ كـان قبـل ٣ آب/ أغسـطس ٢٢٤م، ولا تعجـب إن وجـدت روايـة ثالثـة تقـول إن وفاتهـا كـان ٢٢٦م. وبعـد وفاتهـا صُـكَّت باسمهـا قطعتـان نقـديتان تخليـداً لـذكراها بعهـد حفيـدها الثَّـاني **الكسـندر سـيڤروس، ممـا** يعـني أن ذكرهـا بقـي حميـداً بعـد وفاتهـا وقـدَّر حفيـدها جهودهـا. وكانـت مـن قبـل إبـان حياتهـا قـد صـكت باسمهـا أكثـر مـن إحـدى عشـرة قطعـة نقـودٍ ذهبيّـةٍ وفضـيّةٍ وبرونزيّـةٍ. وكـان حفيـدها الأول الإمبراطـور السـابق قـد منحهـا لقـب «أوغستا أم أغستس» أي الإمبراطورة أم الإمبراطور..

المؤكـد الـذي لا شـك فيـه الـذي يسـتنتج مـن السـياق مـن دون أدنى جهـد هـو أن الإمبراطـور الحقيقـي الـذي كـان يـدير شـؤون الإمبراطوريـة في عهـد **إيـل جبـل** وبـدايات **الكسـندر سـيڤروس** هـو الجـدة **جوليـا ميسـاء**، وكانـت شـريكتها **جوليـا سـمية** مـع ابنهـا **وجوليـا ماميـا** مـع ابنهـا. بـل في واقع الأمر كـان يطلـق عليهمـا كليهمـا لقـب الإمبراطـورة Augustae .، ومـن أثـر تأثيرهـا ودورهـا أنَّهـا صـكت باسمهـا وصـورتها نقـود الإمبراطوريـة. وقـد وثـق ذٰلـكَ المـؤرخ الرومـاني هيروديـان إذ رأة أنَّهـا الحـاكم الحقيقـي للإمبراطوريـة الرومانيـة. والغريـب أنَّـهُ علـىٰ الـرَّغْمِ مـن تحـول **إيـل جبـل** إلىٰ الخلاعـة فقـد بقـي ذكـره الأشـهر علـىٰ أنَّـهُ تـرك إدارة الدولـة لجدتـه لأنَّـهُ كـان أكثر اهتماماً بإصلاح الدين الروماني وإدخال عبادة **إيل جبل**.



*



عائلة القياصرة

الإمبراطور إيل جبل ـ إيلاغابال



حَتَّىٰ نعرف من هو الإمبراطور **إيل جبل أو إيلاغابال** Elagabalus المولود في ٢٠ آذار/ مـارس ٢٠٣م، لا بُـدَّ مـن إلقـاء ضـوء علـىٰ جدتـه الـتي نصـبته إمبراطوراً.

جدته هي التي تستحق عن جدارة أن تلقب بالإمبراطورة وإن لم تجلس رسميًّا علىٰ عرش الإمبراطورية، وقد أطلق عليها هٰذا اللقب أصلاً، هي **جوليا ميساء** المشهورة باسم **جوليا ميسا** أو **مايسا** Julia Maesa وهي الشقيقة الكبرى للإمبراطورة **جوليا دومنا** Julia domna . محور عائلة القياصرة أو الأباطرة السوريين الذين حكموا الإمبراطورية الرومانية.

بعـدما قـام **مكرينــوس** قائـد حـرس القيصـر **كــركلا** بقتلـه وإعــلان نفســه قيصــراً لم يســتطع الــتمكن مــن الســلطة إلا بتقــديس الإمبراطــور **كــركلا** وإعلانـه إلهـا رومانيًّـا، وتـرك أمـه **جوليـا دومنـا** تواصـل سـلطاتها في إدارة شـؤون الإمبراطوريـة ولٰكـنَّ **مكرينــوس** خشـي بعـد حـين مـن إمكانيـة اسـتعادتها مجـدها السـابق في حكـم الإمبراطوريـة، فأمرهـا وأختهـا **جوليـا ميساء** وأولادها بمغادرة روما إلىٰ سوريا.

كانـت **جوليـا ميسـاء** قـد رافقـت أختهـا عنـدما جلسـت علـىٰ عـرش الإمبراطوريــة، وأطلقــت أختهــا يــدها في إدارة مؤسســات الدولــة، ولم تكــن ميســاء أقـل قـدرة ولا كفـاءة ولا دهـاء ولا طموحـاً، ولـذٰلك عنـدما عـادت معهـا إلىٰ حمـص عـادت وفي رأسـها مخططـات ومشـاريع سـرعان مـا بـدأت العمـل عليهـا ولم تنتظـر طـويلاً. كانـت شـديدة الإصـرار والثقـة علـىٰ الـرَّغْمِ مـن أنَّهـا تـراهن بمـراهقين بـل لمـا يـدخلا المراهقـة بعـد وهمـا حفيـداها ابنـا ابنتيهـا الاثنتـين الأول **إيـل جبـل أو إيـل جابـل** المشـهور باسـم **إيلاغابـال** الـذي كـان عمـره فقـط أربعـة عشـر عامـاً، والثـاني **ألكســندر ســيفروس** وعمره عشرة أعوام فقط. فتخيل مدى ثقتها وإصرارها.

الاسم الحقيقي **لإيل جبل** هو **ڤاريوس أڤيتوس** Varius Avitus. ما إن عادت جدته إلىٰ حمص حَتَّىٰ سكنت بجوار هيكل الشَّمس واستلمت مفاتيح الهيكل ونصَّبت **أڤيتوس** كاهناً للهيكل وارثاً لجدِّه **باسيانوس** وله من العمر ١٤ سنة وكان جميل الصورة معتدل القامة وأظهر من التقوى والورع ما جعله محبوباً من الجميع وخاصَّة من الجند الذين حقدوا علىٰ **مكرينوس** لقتله **كاراكلا** وإبعاد

كل ما يرتبط بهٰذه العائلة من روما، وسرعان ما ترقى بَيْنَ الكهنة وأطلق عليه اسم **إيل جبل** أو **إيل جابل** أي الإله الجابل أو الخالق، جدته **جوليا ميساء**، أما أمه فهي **جوليا سمية** التي كانت متوافقة الطباع مع أمها إلىٰ حد كبير.

في إطار جملتها لاستعادة الإمبراطورية التي سارت علىٰ محاور عدة في وقت واحد، بدأت **جوليا ميساء** بالتوافق مع ابنتها **جوليا سمية** بنشر شائعات في أرجاء الإمبراطورية التي تستطيع الوصول إليها تقول إنَّ **ڤاريوس** أي **إيل جبل** هو الابن الطبيعي **لكركلا**، علىٰ الرَّغْمِ من أنَّهُ في الواقع ابن **ڤاريوس مرسلس** زوج ابنتها الذي كان قد مات في ذٰلكَ الحين وهو حاكم لإحدى ولايات الإمبراطورية الرومانية. كانت استعادة الإمبراطوريّة أفضل عندها من سمعة ابنتها وزوج ابنتها الذي مات، فمن ذا الذي يستطيع أن يقف في وجهها وقد مات **مرسلس** زوج ابنتها ووالد الشَّاب، وكانت ابنتها **جوليا سمية** متوافقة مع في ذٰلكَ غير معترضة. وكان الجنود الرومان في سوريا قد ألغوا الشعائر الدينيَّة السوريَّة، وكانوا يشعرون باحترام لهٰذا الكاهن الشاب الذي لا يتجاوز الرابعة عشرة من العمر تبعثه في قلوبهم عاطفة دينية قوية.

في الوقت نفسه كانت **جوليا ميساء** تعمل علىٰ اختراق الجيش الروماني في سوريا وتستميل قيادته وجنده لإسقاط القيصر **مكرينوس** مغتصب العرش وتنصيب إيل جبل قيصراً. لم تتعب في ذٰلكَ كثيراً فيما يبدو، فقد كان الفيلق الموجود بحمص من الناقمين علىٰ **مكرينوس** فوافقوها علىٰ مشروعها وإغراءاتها وأعلنوا اختيارهم **إيل جبل** للعرش الإمبراطوري. حدثت مواجهات ومناوشات بَيْنَ الفيلق الموالي **لإيل جبل**

وفيلق **أُلبيوس يوليان** قائد الجيش المرابط قرب حمص، ولٰكن سرعان ما تمت استمالتهم أكثرهم وأعلنوا انضمامهم للفيلق الموالي **لإيل جبل**. لم يستطع **مكرينوس** السكوت علىٰ ذٰلكَ وليس أمامه إلا خيار المواجهة فقاد الجيش بنفسه واتجه للقضاء علىٰ هٰذا التمرد، ولٰكنَّهُ خسر المعركة، وهرب، وتبعه جند **إيل جبل** وأتوا برأسه هدية **لجوليا ميساء** التي كانت وأختها علىٰ رأس المعركة وعلىٰ رأس المقاتلين، إذ بعد تزعزع الأوضاع نزلتا كلتاهما من عربتيهما وقاتلتا مع الجنود حَتَّىٰ حسمت المعركة.

بعد هٰذا النصر الحاسم غادر **إيل جبل** حمص إلىٰ روما ليكون قيصر الإمبراطورية الرومانية وقد نودي به فعلاً قيصراً. رافقته جدته **جوليا ميساء** ووالدته **جوليا سمية** وأختها **جوليا ماميا** التي رفضت المشاركة في أي نشاط سياسي أو أدبي وانصرفت لتربية ابنها **ألكسندر سيفيروس** Alexandrus severus ورُبَّما لإعداده لمناصب سامية في الإمبراطورية. وفي ٨ حزيران عام ٢١٨م تم تنصيب **إيل جبل** قيصراً للإمبراطوريَّة الرومانيَّة. وعاد حكم الإمبراطورية الرومانية للحمصيين بعد سنة واحدة فقط من فقده، بل بعضهم يقول إنَّ حكم الحمصيين الحقيقي قد بدأ الآن مع **إيل جبل**.

كانت الجدة **جوليا ميساء** هي الرأس المدبرة، ولٰكنَّ ذٰلكَ لن يمنع تفرد القيصر الشاب **إيل جبل** الذي جلس علىٰ عرش الإمبراطورية وعمره أربعة عشر عاماً فقط. وبناء علىٰ نصائح جدته وتوجيهاتها أرسل علىٰ الفور بعد الانتصار الحاسم علىٰ **مكرينوس** رسالةً تاريخيّةً إلىٰ مجلس

الشيوخ الرُّوماني يعلن فيها نفسه إمبراطوراً، ويبشّرهم بنقل الحجر الأسود الحمصي إلىٰ روما حيث ستتمُّ عبادته في العاصمة معتبراً ديانته ديانةً من الدَّرجة الأولى علماً بأنَّ مثل هٰذا الأمر كان بحاجةٍ إلىٰ موافقة مجلس الشيوخ.

بهٰذه الرسالة والشائعات التي أشيعت حوله من قبل كان مجلس شيوخ الإمبراطورية متأهباً لاستقبال **إيل جبل** إمبراطوراً. دخل **إيل جبل** روما بموكبٍ فخمٍ مهيبٍ قادماً من حمص وهو يحمل الحجر الأسود المقدّس في عربةٍ مزيَّنةٍ بالذَّهب والجواهر. الحجر الأسود هو الحجر النيزكي الذي كان يحتفظ به في هيكل الشمس بحمص.

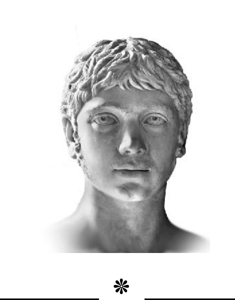
الرعية علىٰ جين ملوكها كلمة لم تصمد لتكون حكمة عن تصادف أبداً. فعلىٰ الرَّغْمِ من أنَّ القيصر **إيل جبل** قد أقر الأديان الموجودة كلها السماوية والوثنية ولم يعرضهم لأي ضغوط، وقيل إنَّهُ حاول إنشاء ديانة جديدة توفق بَيْنَ مختلف العقائد لتشمل المسيحيَّة واليهودية، فقد سمح للأديان جميعاً منهم المسيحية واليهودية بممارسة طقوسهم الخاصة في معبد الحجر الأسود أو معبد الديانة الوثنية السورية، فإنَّ الديانة الوثنية السورية قد سادت منذ وقته في الإمبراطورية الرومانية وتفوقت في حضورها وقوتها علىٰ الديانة الوثنية الرومانية لأنه تبنى شخصيًّا هٰذه الديانة التي كانت تقوم طقوسها بفخامة غير معهودة في الإمبراطورية الرومانية ترافقها ذبائحُ ثمينةٌ كانت تقدَّمُ علىٰ مذابح تفوح منها روائح أفخر العطور وتصبُّ عليها الخمورُ المعتّقةُ. وكان يبني كلَّ

عـامٍ معبـداً جديـداً في ضـواحي رومـا فينقـل الحجـر الأسـود الحمصـيُّ إليـه باحتفـالٍ مهيـبٍ ضـخمٍ، بـل قـرَّر أن ينقـل الحجـر مـن معبـدٍ لآخـر ليتعـرَّف عليه أكبر عـددٍ مـن النـاس ولتتسنى لهـم عبادتـه مباشـرة، وكـان ينقـل الحجـر الأسـود مـن الأول إلى الثـاني علـى عربـة مُحَـلاَّة بالـذهب والأحجـار الكريمـة باحتفـال رسمـيٍّ. ولا عجـب لـذٰلكَ أن تعلـم المسـكوكات النّقديّـة بأنواعهـا قـد خلَّـدت دخـول الحجـر إلىٰ رومـا وبـدء عبادتـه الرَّسْميَّـة في أرجـاء الأمبراطوريَّـة كلهـا فقـد مثَّـل هٰـذا الحـدث انعطافـة كـبرى في تـاريخ العقائـد الرُّومانيَّـة لم تشـهد مثلهـا إلا بعـد أن سمـح القيصـر **قسـطنطين** بالحريَّـة الدِّينيَّـة وكـان ذٰلـكَ مفتاحـاً لـدخول المسـيحيّة رسميًّـا إلىٰ رومـا وتصـير عقيـدة الإمبراطوريَّة الرومانيَّة.

في هٰـذه الأثنـاء أطلـق علـىٰ جدتـه لقـب المعظمـة، وصـك باسمهـا وصـورها إحـدى عشـرة قطعـة نقديـة، وأقـام نـدوة للنسـاء وجعـل والدتـه **جوليـا سـمية** رئيسـة هٰـذه النـدوة. وانقـاد إلىٰ عـدم المبـالاة بشـؤون الدولـة وسـلَّم أعلـى المناصـب إلىٰ زمـرة مـن الشـباب كـانوا يشـاطرونه أعمـال الطيش حَتَّىٰ قـال المؤرخـون إِنَّـهُ لم يكـن اختيـار **جوليـا ميسـاء** لهـذا الحفيـد موفَّقـاً فقـد كـان إلىٰ جانـب صـغر سـنه غريـب الأهـواء غلبتـه مغريـات حيـاة الأبـاطرة فأسـاء اسـتخدام السُّـلطة واتَّسـمت حياتـه الخاصَّـة بالخلاعـة والمجـون ومخالفـة القـيم الأخلاقيّـة في ذلـك الزَّمـان، فأغضـب بسـلوكه هـذا مجلـس الحكـم والجـيش فانتفضـوا عليـه في الحـادي عشـر مـن آذار/ مـارس عـام ٢٢٢م، وقتلـوه مـع أمِّـه **جوليـا سـمية** وسـحلت جثَّتـه في الأسـواق

وألقـي بجثتيهمـا في نهـر التيـبر وقيـل إنهـم ألحقـوا بـه الحجـر الأسـود. وفي روايـة أُخْــرَىٰ أنهــم أعــادوا الحجــر الأســود إلىٰ حمــص، رُبَّمــا غاصــوا وأخرجــوه وأعادوه، ولَكنَّهُم هدموا معبده في روما.

ولٰكنَّ العجب أن تعلم أن من ورث عرش الإمبراطورية الرومانية بعده هو ابن خالته وعمره ليس أكثر من اثنتي عشرة سنة، كان ذٰلكَ بدهاء الجدة **جوليا ميساء** وتدبيرها.



*



عائلة القياصرة

الإمبراطور ألكسندر سيفيروس



بعـــدما تزوجـــت **جوليـــا دومنـــا** ببضـــع ســـنوات اعتلـــت عـــرش الإمبراطوريـــة الرومانيـــة رفقـــة زوجهـــا **ســـبتموس ســـيڤروس** الـــذي نـــادى بـــه الجنـــد إمبراطـــوراً. فرافقتهـــا شـــقيتها الكـــبرى **جوليـــا ميســـاء** إلىٰ رومـــا، ولم تبخـــل عليهـــا أختهـــا الصـــغرى فأطلقـــت يـــدها في الإدارة والنصـــح، ولم تكـــن **ميســاء** أصــلاً أقــل قــدرة ولا كفــاءة ولا دهــاء ولا طموحــاً، فاكتسـبت الكثـير مـــن الخـــبرات والمعـــارف والتفاصـــيل في شـــؤون الإمبراطوريـــة. ولا أحـــد يـــدي إن كـــان رأســـها مـــن الأفكـــار مـــا أظهرتـــه الظـــروف الـــتي لم تكـــن لتخطـــر في بال أحد بطبيعة الحال.

علىٰ الرَّغْمِ من أن **مكرينوس** بعدما قتل القيصر **كركلا** أبقى الأمور علىٰ ما كانت عليه بشأن **جوليا دومنا** وأختها **جوليا ميساء** في إدارة بعض من شؤون مؤسسات الدولة إلا أنَّهُ سرعان ما تخوف من تحكمهما بالدولة وخاصة **جوليا دومنا**، فسارع إلىٰ إخراجهما من روما وتجريدهما من كل السلطات.

عادتا إلىٰ حمص، وفي حين اعتزلت **جوليا دومنا** كل شيء حَتَّىٰ الطعام لاحقاً بعدما فقدت زوجها وابنيها الإمبراطورين، فإنَّ **جوليا ميساء** عادت وفي رأسها مخطَّطات ومشاريع سرعان ما بدأت العمل عليها ولم تنتظر طويلاً. كانت شديدة الإصرار والثقة علىٰ نحو شبه مجنون، فرأس مالها الذي تراهن به طفلان واحد عمره أربعة عشر سنة هو **إيل جبل**، والثاني إن كان في بالها وقد لا يكون ذٰلكَ محتملاً عمره عشر سنوات. هو **ألكسندر سيڤروس** . Alexander Severus.

هو **ماركوس أورليوس سڤروس ألكسندر** ولد في الأول من تشرين الأول/ أكتوبر عام ٢٠٨م. والده هو **ماركوس يوليوس ماركيانوس** من سوريا، وأمه هي **جوليا ماميا** الابنة الثانية لصانعة الأباطرة **جوليا ميساء** شقيقة الإمبراطورية **جوليا دومنا**، وابن خالة الإمبراطور **إيل جبل**.

يبدو جليًّا من هٰذه الخريطة العائلية أنَّهُ من الصعوبة بمكان الحديث عن الإمبراطور ألكسندر سيڤروس من دون الحديث عن هٰذه الشبكة العائلية بشكل عام. وإن كان يمكن الاستغناء عن بعضها فإِنَّهُ لا يمكن الاستغناء عن الكلام عن جدته **جوليا ميساء** وابن خالته الإمبراطور **إيل جبل** لتعذر فصل وصوله إلىٰ سدة عرش الإمبراطورية الرومانية عن جدته وابن خالته.

لن نطيل هنا فقد أبنا ذٰلكَ لدى الحديث عن جوليا ميساء وإيل جبل. حسبنا الإشارة هنا إلىٰ أنَّهُ عندما انتصرت **جوليا ميساء** علىٰ الإمبراطور **مكرينوس** وقتله أعلنت حفيدها **إيل جبل** إمبراطوراً ونصبته قيصراً للإمبراطورية الرومانية. ولٰكنَّهُ أساء وفسد بما أغضب عليه مجلس حكم الإمبراطورية الرومانية والجيش فقتلوه وأمه بعد أربع سنوات من حكمه. قتل وعمره ثمانية عشر عاماً، وفي هٰذا الحين كان عمر ابن خالته **ألكسندر سيڤروس** أربعة عشر عاماً.

كانت جدته قد استقرأت هٰذه النتيجة وتوقعت له هٰذا المصير فطلبت منه قبل سنة من مقتله تقريباً أن يعين ابن خالته **ألكسندر سيڤروس** نائباً له ووليّاً للعهد. وقد فعل. قد بدأت بإعداده للحكم من خلال تثقيفه وتدريبه فاختارت له أهمّ الفلاسفة والمربّين في تلك الفترة ليكونوا عوناً له في مهمّته القادمة وفعلاً صدق حدسها، ولذٰلك ما إن قتل **إيل جبل** في الحادي عشر من آذار/ مارس عام ٢٢٢م حَتَّىٰ كان حفيدها الثّاني جاهزاً لاستلام الحكم ونودي **بألكسندر سيفيروس** إمبراطوراً لروما، فكان أصغر إمبراطور يتربع علىٰ عرش الإمبراطورية الرومانية.

في حين كانت خالته **جوليا سمية** والدة **إيل جبل** مثل جدته **جوليا ميساء** داهية مؤامرات، شعارها الغاية تبرر الوسيلة فإنَّ أمه **جوليا ماميا** كانت على خلاف كليهما؛ أمها وأختها فقد عرفت بالالتزام ولم تشارك في أي فضيحة من الفضائح، وكانت من الشهيرات بالفطنة والأخلاق والثقافة والأدب، وعلىٰ ذٰلكَ ربَّت ابنها الذي أخلص لأمه والتزم بأخلاقها الرفيعة. ولذٰلك لا تعجب إن

علمت أنَّهُ قد أحبه الجند كثيراً وكثيراً سيحبه الشعب، وستعد فترته من أنصع وأفضل السنين في عمر الإمبراطورية الرومانية.

بدأ بإصلاح ما ورثه عن أسلافه من الخلل، مُستعيناً بالتأكيد برأي والدته **جوليا ماميا** ومشورة الداهية جدته **جوليا ميساء** وخبرتها العميقة في تفاصيل السياسة وشؤون الإمبراطورية. ولٰكنَّهَا ماتت بعد سنتين من توليه عرش الإمبراطورية عام ٢٢٤م، وفي الحد الأقصى بعد أربع سنوات ٢٢٦م، فصك باسمها وصورتها قطعتين نقديتين بعد وفاتها تخليداً لذكراها، مما يعني أن ذكرها بقي حميداً بعد وفاتها، وكانت أعمالها تثمر وبرنامجها وكذٰلكَ مشاريعها ومخططاتها استمرَّت إلىٰ ما بعد وفاتها.

عيَّنَ الفيه الحقوقي الكبير والشهير **يوليوس باولوس** رئيساً لحرسه الملكي بطلب من والدته، وأقام ديواناً للمشورة مكوَّناً من ستة عشر عضواً انتقاهم من خيرة الرجال في الدولة، وأقام مجلساً بلدياً لروما مكوناً من أربعة عشر عضواً. واتجه إلىٰ المرأة فساهم في رفع شأنها فأنشأ ندوة للنساء ترأستها جدَّته ثمَّ أمُّه، وأعطاهن سلطة واسعة في تهذيب كل امرأة تتجاوز حدود اللياقة. رُبَّما تكون هٰذه الندوة قد أنشأها سالفه ابن خالته الإمبراطور **إيل جبل** ورُبَّما تكون أنشئت علىٰ يديه.

وفي السِّياسة الاقتصادية للدولة فقد تصرف تصرفاً ذكيًّا إذ زاد الضرائب علىٰ الصاغة صانعي الحلى الذهبية والفضية وعلىٰ مصنوعات البدخ وعلىٰ، وقلل من الخراج علىٰ غيرها ليقلِّل أسباب الترف، وكان يتأوه لو أمكن إلغاء الأموال الأميرية برمتها ومنع المتمولين من أن يقرضوا

مـالهم بـأكثر مـن ثلاثـة في المئـة بـل قـل حـارب المـرابين. ووضـع نظامـاً علـى الأزيـاء وعلـى ملابـس الصـيف والشـتاء ليكتفـي كـل مـن الرعايـا بمـا تمكنـه منــه حالتــه. وكــان إذا أراد أن ينصــب عــاملاً أذاع اسمــه النــاس وكلَّفهــم أن يعلمـوه بمـا إذا كـان مـن اختـاره ارتكـب جنايـة أو أقـدم علىٰ مـا يجعلـه غـير أهــل للمنصــب، وأن مــن افــترى كــذباً علــىٰ أحــد هــؤلاء يعاقــب شــديد العقــاب إن لم يثبــت شــكواه بالبينــة القاطعــة. وهــو شخصــيًّا كــان حميــد السـجايا وحسـن الآداب مقتصـداً في معيشـته ولبسـه، حـتى كـان نافعـاً بمثلـه أكثـر مـن نفعـه بسـننه، وكـان جـواداً علىٰ الفقـراء وعلىٰ أصـدقائه وعلىٰ مـن أتم فروضـه مـن عمالـه. وقـد كتـب علـى بـاب قصـره: «لا تفْعـلْ بـالغيرِ مَـا لا تُرِيدُ أن يفعله الغيْر بك».

وكـان يمضـي في كـلِّ يـوم إلىٰ المحـل المقامـة فيـه صـور مـن كـان يسـميهم المحسنين إلىٰ الإنسانية من أمراء وفلاسفة ومنشئي ممالك أو ديانات، وكان يكثر المطالعة في كتاب **أفلاطون** وخاصة الجمهورية ومقالات **شيشرون** في الفروض ورسائل **هوراس** ليقتبس منها قواعد يستنير بموجبها. وكان كل سبعة أيام يمضي إلىٰ الكبيتول ويزور معابد المدينة، ولم يكن يكثر من التقادم إليها بل كان يقول إن الآلهة يسرون بممارسة الفضائل ولا يحتاجون إلىٰ الذهب.

دامـت سـلطة **ألكسـندر سـيڤروس** ثلاثـة عشـر عامـاً، وكـان ذا عقـل متفـتح تجـاه الثقافـات والأديـان. وأبـدى تقـديره **للمسـيح وإبـراهيم** عليهمـا السـلام وتوقـف في أيامـه اضـطهاد اليهـود والمسـيحيين، وكـان أن حـدث في أيامــه خصــامٌ بَــيْنَ كنيســة رومــا وبــين بعــض الخمــارين علــىٰ أرض فقضــى

للمسيحيين بها قائلاً: الأولى أن تكون هذه الأرض محلاً للصلاة من أن تكون محلاً للدعارة». وقيل إنه عزم أن يبني هيكلاً للمسيح ليقيمه في مصاف الآلهة فصرفه عن عزمه الكهنة لخوفهم من أن يؤدي ذٰلكَ إلىٰ هجر باقي المعابد، ولٰكنَّهُ سمح ببناء كنيس في روما، وأهدى لهذا الكنيس لفيفة من التورات تعرف باسم تُعرف بإسم لفيفة **سيڤروس**.

وزعم بعضهم أنَّ أمّه **جوليا ماميا** كانت مسيحية وأنكر ذلك غيرهم وقالوا بل كانت هائمة فقط بأن تقف على أسرار هٰذا الدين الحديث كما كان ابنها وكثيرون في ذلك العصر. وقيل أنه وضع صورة **المسيح** وصورة **إبراهيم** بَيْنَ صورة آلهة الوثنيين ومشاهيرهم. علىٰ أن بعض المؤرخين يشكون هٰذا القيصر بأنه لم يكن شديد العزيمة قوي البأس على الرَّغْمِ من أنَّ **لمبريد** قال في فيه: إن الجنود سموه **ساويروس** أي صارماً أو قاسياً لصرامته علىٰ الجنود، ومما أورده من الأدلة علىٰ ذٰلكَ أنَّ الشعب كان عند ممر الجنود في الأسواق يتراكضون لرؤيتهم لتهيبهم الجنود كأنهم رجال الندوة.

علىٰ الرَّغْمِ من أخلاقه هٰذه فإنَّ الاستقرار في أرجاء الإمبراطورية المارمية الأطراف لم يكن سهلا، فقد حصلت بعض الثورات وأكثر من تمرد في بلاد الرافدين وفي المغرب وأماكن مختلفة، وقد تداركها جميعاً بحكمة ومن ذٰلكَ علىٰ سبيل المثال أنَّهُ ثار ثائر في روما فاستدعاه وأخذه إلى الندوة وأشغله بأعمال فيها ثمَّ إلىٰ المعسكر وعهد إليه بأشغال أُخْرَىٰ فلم تمض أيام حَتَّىٰ أعياه التعب وأضرب عما كان يرغب فيه وسأل القيصر أن يعود إلى بيته ليعيش مستريحاً.

وفي سنة ٢٣١ م دفع الغرور ملك الفُرْس لمحاربة معتقداً أنَّ الإمبراطور الصغير هٰذا ضعيف قابل للكسر وسينهزم بسرعة، ولٰكنَّ هٰذا الإمبراطور الشاب **ألكسندر سيڤروس** جَهَّز بنفسه حملة لمحاربة الفرس وقاد الحملة بنفسه ورافقته أمُّه في هٰذه الحملة وقد انتصر، ويظهر من خطبته التي ألقاها في ١٩ إيلول/ سبتمبر ٢٣٣م أنه لم ينتصر في الحرب وحسب بل استردَّ كلَّ البلاد الواقعة ما بَيْنَ النهرين وغنِمَ غنائم وفيرة. ولٰكنَّ الأخبار في هٰذه المعركة اختلفت وثَمَّة أكثر من رواية فمن قائل إنَّ الحرب كانت سجالاً ولم يظفر أي الفريقين بالآخر حق الظفر ويبدو من خطبته في الندوة في ٢٥ أيلول/ سبتمبر ٢٣٣م أنه انتصر علىٰ الفرس وأخذ منهم ثلاث مائة فيل وقتل مئتي فيل وأتى إلىٰ روما بثمانية عشر فيلاً منها وأنه استظهر علىٰ مئة وعشرين ألف فارس وقتل عشرة آلاف منهم وأخذ كثيرين من الأسرى وباعهم وأنه استرد كل البلاد الواقعة بين النهرين وأنه هزم أرتحششتا ملكهم إلىٰ آخر ما ذكره في خطابه من أخبار ظفره الذي عيد الرومانيون له في اليوم التالي وأقاموا الملاعب.

ومثلما دفع الغرور الفرس لمحاربة الإمبراطور الصغير كذٰلكَ الأمر مع الجرمان الذين ثاروا علىٰ الإمبراطورية الرُّومانية واتَّجهوا إلىٰ فرنسا وقطعوا الطريق المؤدية إليها وشكلوا خطراً علىٰ الإمبراطورية بالجملة. لم ينتظر كثيراً ففي عام ٢٣٤م جهز حملته الجديدة وترأس جيشه وانطلق به إليهم تصحبه أمُّه أيضاً. ولٰكن يبدو أنَّهُ رقَّ قلبه مما رآه من ضحايا الحروب، فخيَّم في ماينز علىٰ نهر الرَّاين وسعى إلىٰ استرضاء الجرمانيين بالمال لتجنيب جنوده وإياهم نكبات الحرب وثمنها الباهظ. فعز على الجنود الرومانيين أن يعطى غيرهم هذا المال، وكانت

فاستغل Maximenus . **مكسيمنوس** هٰذه فرصة لأحد قوَّاد الجيش ويُدعى تأفف الجيش من ذٰلكَ وأعلن رفضه هٰذا التصرُّف وحرض الجند عليه قائلاً لهم بأنَّ هٰذه الأموال من حقِّ الجنود أن مدة ملكه طالت وأنه استفرغ خزينته في نفقات الحرب الأخيرة وأن أمه البخيلة لا تترك مفتاح ما بقى من المال فأعمى الطمع الجند وانصاعوا له ونادوا به إمبراطوراً وساروا إلىٰ خيمة **ألكسندر** فأمر الحرس بالقبض عليهم ولٰكنَّهُ سرعان ما عدل عن ذٰلكَ وقال دعوهم يدخلون، فدخلوا عليه وقتلوه وقتلوا أمّه معه في ١٩ آذار/مارس ٢٣٥م، في نسخة مشابهة لما حدث لابن خالته **إيل جبل** قبل ثلاثة عشر عاماً وأسبوع بالتمام. وباغتياله بدأ ما يسميه المؤرخون فوضى القرن الثالث التي قاربت فيها الإمبراطوريَّة الرومانية علىٰ الانهيار.



*

عائلة القياصرة
الإمبراطور فيليب العربي



يبدو أنَّ **فيليب العربي** سيكون استثناء من جهة كونه ليس من أسرة الأباطرة التي هي موضوع هٰذا الفصل وعنوانه. أقول يبدو ولٰكنَّ الطريف أنَّنا سنجد أنَّهُ جزء من هٰذه الأسرة. وهٰذا ما سيتضح في السِّياق.

اسمه يوحي بهويته، وربَّما لن يجد المرء كثيرَ عناءٍ حَتَّى يستنتج أنَّ المكانة الَّتي يتمتع بها الرَّجل إنَّما هي في مجتمع غير عربي، وإلا لما كان ثَمَّةَ ما يدعو لإضافة كلمة العربي إِلَىٰ اسمه.

فيليب العربي . Philippus ابن مدينة شهبا في محافظة السويداء السورية هو الذي حكم الإمبراطوريَّة الرومانيَّة إمبراطوراً ما بَيْنَ عامي ٢٤٤م و ٢٤٩م.

ولد **فيليب** في مدينة شهبا بمحافظة السويداء السُّوريَّة عام ٢٠٤م، وأبوه هو **جوليوس مارينوس** الذي كان أحد شيوخ العرب ورئيساً لقبيلة كثيرة العدد، قوَّية النُّفوذ. وأصبحت من رعايا الإمبراطورية الرومانية في عهد إمبراطور روما السوري **كركلا**.

بدأ الحكم العربي للإمبراطورية الرومانية العظمىٰ مع **سيبتموس سيnروس** عام ١٨٦م، واستمرَّ هٰذا الحكم في المرحلة الأولى حَتَّىٰ عام ٢١٧م عندما قُتِلَ ابنه الإمبراطور **كركلا** الذي بدأ حكمة عام ٢١١م، وفي فترة حكم **كركلا** أصبحت قبيلة **فيليب العربي** من رعايا الإمبراطورية الرومانيَّة.

نشأ **فيليب** في مدينة شهبا، وأصبح ضابطاً في الجيش الروماني، وقد برزت كفاءته ومواهبه العسكرية سريعاً فصار يرتقي من منصب إِلَىٰ منصب، وبرز بوصفه أحد أفراد الحرس الإمبراطوري في عهد الإمبراطور **جورديان الثالث** الذي وجد فيه خلف سلف لقائد الحرس الإمبراطوري الذي توفي سنة ٢٤٣م. ولم تكد تمضي سنةٌ علىٰ استلامه هٰذا المنصب حَتَّىٰ ثار الجيش الروماني علىٰ الإمبراطور **جورديان الثالث** واغتاله الجنود ونادوا **بفيليب** إمبراطوراً علىٰ عرش روما، وكان ذٰلكَ في أواخر شباط عام ٢٤٤م. ومثل هٰذا تماماً هو ما حدث مع **سيبتموس سيڤروس** أول عربيٍّ يحكم الإمبراطوريَّة الرومانيَّة... إذ انقلب الجيش علىٰ الإمبراطور ونادوا **بسيبتموس سيڤروس** إمبراطوراً.

مـا إن تربَّـع **فيليـب** علـىٰ عـرش الإمبراطوريَّـة حَـتَّىٰ بـدأ مشـروعاً إصـلاحيًّا كبـيراً شمـل مختلـف منـاحي الحيـاة، فـاهتم بالحريـة الفرديـة، وألغـىٰ السـخرة، وسـعىٰ في القضـاء علـىٰ العبوديَّـة، وقـوَّى مـن سـلطة مجلـس الشـيوخ، ووضـع حـدًّا لتـدخل الجـيش في السـلطة، وخفـف مـن أعبـاء المصـادرات العامَّـة غـير القانونيَّـة، وعفـا عـن المعتقلـين السياسـيين في العهـود السـابقة، وسمـح بعـودة المنفيـين، وزاد في الاهتمـام بالزراعـة وطريـق تنميـة المـواد، وسـنَّ القـوانين لحمايـة المـزارعين، وحـرر المسـيحيين وأعـاد ممتلكـاتهم، وبـرز اهتمامـه الخـاص بالمـدن السـورية ولا سـيما مدينـة شـهبا مسـقط رأسـه الَّـتي سماهـا **فيليبوبـولس** وأراد أن يجعـل منهـا مدينـة تضـاهي أعظـم المـدن فأنشـأ فيهـا الكثـير مـن المبـاني مثـل: المسـرح، والأقنيـة، والحمامـات، والشوارع الرئيسية الكبرىٰ، وكل ذٰلكَ مما ظلَّ ماثلاً حَتَّىٰ يومنا هٰذا.

ومما لا نستغربه هو أنَّ ابنه **فيليب الثاني** قَدْ شاركه في الحكم، وكذٰلكَ زوجته **مارينا** الَّتي كانت من أسرة **سيفيروس** الحمصيَّة، هٰذه الأسرة الَّتي سبقته إِلَىٰ حكم الإمبراطورية الرُّومانيَّة أكثر من مرَّة، ولا عجب إذ ذاك أن صور **فيليب وزوجته وابنه** علىٰ النُّقود الرومانيَّة.

كـان مـن الممكـن جـدًّا أن يخلـف **فيليـب الثـاني** أبـاه في حكـم الإمبراطوريَّـة، ولا سـيما بعـد الحـب الـذي أحـاط بأبيـه مـن رعايـا الإمبراطوريَّـة، ولٰكـنَّ القَـدَرَ لم يمهلـه... لَقَـد قتـل مـع أبيـه في معركـة فيرونـا الَّـتي دارت رحاهـا بَيْنَـه وبَـيْنَ خصـمه **دوقيـوس**، وكـان ذٰلـكَ في بدايـة شـهر تشرين الأول من عام ٢٤٩م.

وبموت الإمبراطور **فيليب العربي** انطوت صفحة الحكم العربي للإمبراطورية الرومانية الَّتي استمرت سحابة ثلثي القرن.

هل سيستطيع العرب المعاصرون إعادة الكرة مرَّة أُخْرَى في الإمبراطورية الأمريكيَّة؟

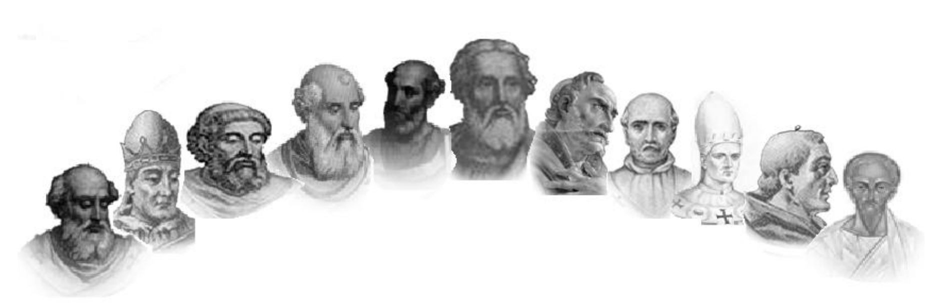
لَقَد أعاد السوريون الكرَّةَ ذاتها في أمريكا اللاتينيَّة أكثر من مرَّة في السنين الأخيرة المنصرمة، وهي تجربةٌ تستحقُّ الذِّكر... وربَّما لن يتأخر ذلك كثيراً في كتاب مخصوص لهٰذا الغرض.



*

الباب الثالث

باباوات روما السوريون





القديس إبيفان



القـديس إبيفـان علاَّمـة شـهير في تـاريخ الكنيسـة اليونانيـة... أضـحى بطريركاً **لسلامين وايلوثيرويوليس**... *ولد* في فلسطين حوالي عام ٣١٠ ومات عام ٤٠٣م ارتبط **بهيلاريون** الشهير وناضل ضد **آريوس واوريجين**(٩).

في كتاب تاريخ الكنيسة سرد مفصل لسيرته نقتضب عنه ما يلي(١٠):

يـروي لنـا المـؤرخ **يوسـابيوس** قصـة استشـهاد القـديس **أبيفـان أو أبيبـان أو أبفـانيوس**. كتبهـا وهـو متـأثر جـدًّا، ربمـا بسـبب صـغر سـنه أو

(٩) - سعد صائب: **دور سورية في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ القديم**. دار طلاس. دمشق. ١٩٩٤م.

(١٠) - يوسابيوس القيصري: **تاريخ الكنيسة**. ترجمة القس داود. ١٩٦٠م. ص٣٩٤-٣٩٧.

لأنـه قـد تعـرف عليـه شخصـيًا، إذ يبـدأ حديثـه هكـذا: «أي كلمـات تكفـي لوصــف المحبــة الإلهيــة والجــرأة اللتــين أظهرهمــا (في الاعــتراف بــالله) الحمــل الوديـع الهـادئ، أعـني الشـهيد **أبيفـان**، الـذي أظهـر أمـام أعـين الجميـع في أبواب قيصرية مثالًا عجيبًا لتقوى الله»"

نشأته:

نشـأ في بـاجي، وكمـا يقـول **يوســابيوس** القيصـري إنهـا مدينـة هامـة في ليسـيا Lycia، وسـط عائلـة شـريفة وغنيـة جـدًّا، أرسـلته إلى (بريتـوس Berytiusبـيروت) للتـزود مـن العلـوم اليونانيـة العالميـة. هنـاك قبـل الإيمـان المســيحي، وعــاش بــروح التقــوى يمــارس حيــاة العفــة والفضــيلة مقتــديا بمعلمين ورعين.

عاد **أبيفان** إلى بلده، وعلى الرغم مما كان لأبيه من مركز اجتماعي مهم لم يستطع هذا الشاب أن يعيش مع عائلته وسط لهو هذا العالم وفساده... لهذا سرعان ما ترك المدينة وانطلق سرًّا إلى قيصرية حيث كان الله قد أعدَّ له إكليل الشهادة من أجل تقواه.

استشهاده:

يقول **يوسابيوس** أسقف قيصرية، الذي تعرف عليه ودخل معه في صداقة إلى حين حول الإنجيل: «وإذ لبث معنا هناك، متناقشًا معنا في الأسفار الإلهية بكل اجتهاد فترة قصيرة، ومدربًا نفسه بكل غيرة، ختم حياته خاتمة تدهش كل من يراها لو أنها رؤيت مرة أخرى. ومن ذا الذي إذ سمع عنها لا يعجب بحق شـجاعته، وجرأتـه، وثباتـه، بـل بالعمـل الجـريء نفسـه الـذي بـرهن علـى غـيرة

متأججة نحو المسيحية وروح تفوق الطبيعة البشرية. لأنه في الهجوم الثاني ضدنا في عهد **مكسيمانوس**، في السنة الثالثة من الاضطهاد صدرت أوامر الطاغية للمرة الأولى، تأمر حكام المدن ببذل كل مجهود بأسرع ما يمكن ليدفعوا جميع الشعب على الذبح للأوثان. وفي كل أرجاء مدينة قيصرية كان السعاة يستدعون الرجال والنساء والأطفال، بأمر الوالي إلى هياكل الأوثان. وعلاوة على هذا فقد كان رؤساء الألوف ينادون كل واحد باسمه من قوائم بأيديهم، كان عدد وافر جدًا من الأشرار يندفعون معًا من كل الأحياء. عندئذ تقدم هذا الشاب بلا خوف، ودون أن يعلم أحد بنواياه، وغافلنا نحن الذين نعيش معه في البيت، كما غافل كل جماعة الجنود الذين كانوا يحيطون بالوالي، واندفع إلى **أوربانيوس** وهو يقدم السكائب، وأمسكه بيمينه دون أقل خوف، ومنعه في الحال من تقديم ذبيحته، وبمهارة وقوة إقناع وإرشاد إلهي قدم إليه النصح للعدول عن ضلالته، لأنه ليس من اللائق أن يُهجر الإله الوحيد ويُذبح للأوثان وللشياطين. والمرجح أن الشاب فعل هذا بقوة إلهية دفعته إلى الأمام، وجعلت الجميع يصيحون عقب عمله، بأن المسيحيين الذين مثل هذا الشاب لن يتركوا عبادة إله الكون التي سبق أن اختاروها لأنفسهم، وأنهم ليسوا أرفع من التهديدات وما يتبعها من أهوال فحسب، بل هم فوق ذلك في غاية الجرأة يتكلمون بلسان لا يتلعثم، بل إن أمكن ليدعوا حتى مضطهديهم ليتحولوا عن جهالتهم ويعترفوا بالإله الواحد الحقيقي»[11].

---

(١١) - شهداء فلسطين. ف ٤ (حاشية المصدر).

هكذا يرى يوسابيوس أن ما فعله هذا الشاب، لم يكن انفعالًا عاطفيًا ولا جرأة بشرية، لكن قوة إلهية دعته أن ينطلق إلى الوالي بقوة ليمسكه بيمينه ويسأله ألا يقدم بيده ذبائح شيطانية... وقد كان لذلك فعله الكرازي في قلوب ناظريه... إنه عمل إلهي فائق!

إذ رأى الوالي أثر هذا الشاب الذي كان قد بلغ حوالي العشرين من عمره على الجماهير، اغتاظ وصار كوحش، أمر بتمزيق جسده، حتى ظهرت عظامه... وكان القديس يتقبل الآلام بصبر وفرح، فألقاه الوالي في السجن حيث قُيدت قدماه هناك واحتمل آلامًا كثيرة. استُدعى مرة أخرى لتمزيق جسده... وكان المعذبون يضربونه على وجهه حتى انتفخ جدًّا وتغيرت ملامحه.

غطى المعذِبون قدميه بأقمشة كتانية مبللة بالزيت، وأوقدوا فيها نارًا أحرقتهما حتى ظهرت عظامه... وفي هذا كله كان مملوءًا قوة.

طُرح في السجن ثم أُستدعى للمرة الثالثة، وإذ لوحظ أنه على وشك الانتقال ألقوه في البحر بعد أن ربطوا قدميه بحجارة ثقيلة.

يروي **يوسابيوس** أسقف المدينة المعاصرة أن البحر لم يستطع أن يحتمل ذلك فثار وهاج، وأُلقي بالجسد أمام أحد أبواب المدينة، كما حدث زلزال شعر به كل من في المدينة، وكان حوالي ٣٠٦م.



البابا أنيقيطوس الأول



البابا القديس **أنيقيطوس الأول** . Anicet ويلفظه بعضهم **إينيست** أو **أنيس**، وتذكره الويكيبيديا بلفظ **إنكيتوس**. تسنم كرسي البابوية عام ١٥٥م خلفاً للقديس **بيوس الأول**، وبقي حَتَّىٰ وفاته شهيداً عام ١٦٦م. وهو الحادي عشر بالترتيب الزمني. ولد بحمص. رسَّم رسم ٩ أساقفة، و١٧ كاهناً، و٤ شمامسة. وجه رسالة إلىٰ أساقفة بلاد الغال منع فيها الإكليريكيين من تطويل شعر رأسهم والعناية به.

أصدر مرسوماً يحظر على رجال الدين الاعتناء المفرط بلباس الرأس، وإليه تعزى رتبة قص شعر الرأس (بشكل إكليل يدور علىٰ الرأس) التي تعدُّ مدخلاً للسلك الكهنوتي.

كان أوَّل من حتَّم علىٰ الكهنة لبس الثوب الأسود. وقد حارب بدعة مرقيون مذهب العرفان.Gnosticisme . و لما زار القديس **بوليكربوس** (٦٩م–١٥٥م) أسقف إزمير بتركيا اليوم البابا **أنيقيطوس**، بحث معه مسألة تاريخ التعييد للفصح المقدس، وقرر أن يحتفل بعيد الفصح المجيد في يوم أحد حسب القاعدة الموروثة عن القديس **بطرس**.

استشهد ودفن في الفاتيكان، وقيل إِنَّهُ دفن في ناووس من رخام كان قد دفن فيه من قبله مواطنه الحمصي الإمبراطور **سبتيموس سيفيروس** الفينيقي الأصل. تعيد له الكنيسة اللاتينية في ٤/١٧ من كل عام[١٢].



*

(١٢) . اعتمدنا في هٰذا الفصل علىٰ الويكيبيديا العربية والإنجليزية، وعلىٰ الدكتور متري هاجي أثناسيو: **سوريا تحكم روما** . دمشق . ٢٠٠١م. كتيب صغير أكثر ما اختص بالباباوات، صدر بالتزامن مع زيارة البابا يوحنا بولس الثاني إلىٰ دمشق عام ٢٠٠١م.

القديس البابا أوغسطين



ثلاثة أشخاص وسموا العصر الأوروبي الوسيط بميسمهم حَتَّىٰ بالكاد تجد اسماً يمكن أن يوضع إلىٰ جانب أسمائهم؛ آخرهم القديس الفيلسوف **توما الأكويني** . Tommaso d'Aquino المولود عام ١٢٢٥م بإيطالية والمتوفى في ٧ آذار/ مارس ١٢٧٤م. وأوسطهم القديس الفيلسوف **سان أنسلم** ــ **Anselm** d'Canterbury المولود سنة ١٠٣٣م، بإيطاليا والمتوفى في ٢١ نيسان/ أبريل عام ١١٠٩م. وأولهم القديس الفيلسوف **أوغسطين** ــ Augustinus السوري المولود في قرطاجة.

بداية نحل مشكلة المولد والأصل. تاريخ الولادة والوفاة لا اختلاف فيه فقد ولد في ١٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ٣٥٤م، وتوفي في

٢٨ آب/ أغسطس ٤٣٠م. مكان الولادة فيه قولان أولهما أنَّهُ في محلة غربي قرطاج، وثانيهما أنَّهُ في طاغاست التي هي حاليًّا سوق أهراس في الجزائر. مكان الولادة دفع الأغلبية العظمى من المؤرخين والدراسين إلىٰ اعتناق أنَّهُ جزائري بالعموم وأمازيغي بالخصوص. هٰذا ما جرى عليه الجميع تقريباً إلا استثناء نادر أنا منهم يقول بأنه سوري ولا يغير مكان ولادته في هويته. فالواضح عند الجميع أنَّهُ أمه في الأغب جزائرية، أمازيغية أي بربرية بوصف الإغريق لهم، فهم كانوا يسمون سكان الشمال الإفريقي وحَتَّىٰ غير اللاإغريق بالعموم بالبرابرة. أما أبوه فبالإجماع فينيقي، كنعاني، وحَتَّىٰ أوغسطين ذاته يفخر بهٰذا النسب الكنعاني مع دفاعه عن الأمازيغ. فكيف يستقيم أن يفخر بكنعانيته ولا يكون سوريًّا؟!

لا أطيل في مناقشة هٰذه المسألة أكتفي بجميل حمداوي الذي وصفه بأنه بطل المقاومة الأمازيغية وتعامل معه علىٰ أنَّهُ أمازيغي علىٰ الرَّغْمِ من أنَّهُ ذاته ذكر رسالته إلىٰ أهل روما التي قال فيها: «إذا سألتم سكان البوادي عندنا في نوميديا، قالوا: نحن كنعانيون»، وبدل أن يقر بكنعانيته يستدل من ذٰلكَ أنَّ هٰذا «يعني أنَّ لغة أوغسطين هي النوميدية المتأثرة باللغة الفينيقية الكنعانية أو هي الأمازيغية النوبية ذات الجذور الكنعانية»[١٣].

(١٣) - جميل حمداوي: **من أبطال المقاومة الأمازيغية القديس أوغسطين**- الحوار المتمدن- العدد ٢١٨١ – تاريخ ٤ / ٢ / ٢٠٠٨م.

لتعرف من هو **أوغسطين** يكفي أن تعلم أنَّ المؤرخ والكاتب الشهير **مايكل هارث** وضع أحد أشهر الكتب في التاريخ المعاصر هو المئة الأوائل وقد رأى استحقاق **أوغسطين** أن يكون بَيْنَ المئة الأوائل عبر التاريخ، ووضعه في المرتبة الثالثة والخمسين(١٤). وإذا أجلنا النظر في كتب تاريخ الفلسفة وجدنا الكتب كلها تفرد المساحة الأعظم من تاريخ الفلسفة الوسيطة **لأوغسطين**، وعلىٰ سبيل المثال فإن **فردريك كوبلستون** قد أفرد تقريباً مجلداً خاصاً من تاريخ الفلسفة **لأوغسطين**(١٥). ولذٰلك من غير المتوقع أن نفيه حقه من عرض فلسفته في هٰذا الكتاب الذي لا يهدف إلىٰ شرح أفكار وفلسفات كل من فيه بما يكفيه، وإنما هي تعريفات وجيزة قدر الإمكان، وخاصَّة أيضاً أمام الكتابات والكتب الهائلة عنه. أكثر اعتمادنا هنا كان علىٰ **يوسف كرم**(١٦) **وجورج طرابيشي**(١٧).

خالط في نشأته أتباع الديانة المانويَّة (وهي ديانة فارسية تأخذ بالثنائية القائلة بالنور الذي يمثل الحق، والظلام الذي يمثل الشر) وحضر حلقاتهم بقرطاجة مدة ناهزت سبع سنوات، وقيل إِنَّهُ اعتنق المانوية وكان نذيراً من أتباعها، ثمَّ غادر إفريقيا إلى روما واستقرَّ بها.

---

(١٤) - مايكل هارث: **المئة الأوائل**. ترجمة خالد أحمد عيسى وغسان سبانو. دار قتيبة. دمشق. ١٩٨٢.

(١٥) - فريدريك كوبلستون: **تاريخ الفلسفة؛ من أوغسطين إلى دانز سكوت**- ترجمة إمام عبد الفتاح إمام وإسحق عبيد. المجلد الثاني. القسم الأول. المركز القومي للترجمة. القاهرة.

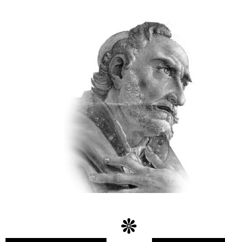
(١٦) - يوسف كرم : **تاريخ الفلسفة الأوروبية الوسيطة**. دار القلم. بيروت. د.ت.

(١٧) - جورج طرابيشي: **معجم الفلاسفة**. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت. ٢٠٠٦م.

حين انتقل من روما إلىٰ ميلانو مدرِّسا للخطابة تأثَّر بالمذهب الريبي؛ الشَّكِّي، ولٰكنَّهُ سرعان ما انصرف عنه إلى الأفلاطونيَّة المحدثة واعتنق المسيحيّة سنة ٣٨٦م أي عندما كان في الثالثة والثلاثين من عمره تقريبا، ليعود مجدَّداً إلى إفريقيا راهباً ثمَّ في سنة ٣٩٦م أسقفا بمدينة هبو أو إيبونا وهي عنَّابة اليوم، التي كانت حينها مستوطنة فينيقية، وكان لمواعظه ورسائله الرعائية أثر بالغ في الفكر المسيحي. من أشهر تآليفه كتابان أولهما الاعترافات، وقد كتبه سنة ٤٠٠م وحاول من خلاله تحليل سيرته الروحيَّة والفكريَّة وتناول فيه معضلة الشرِّ... شبيه بكتاب **الغزالي** المنقذ من الضلال الذي جاء بعده بمئات قليلة من السنين. وثانيهما عنوانه مدينة الله، يتخيل فيه الكنيسة وقد استحالت إلى إمبراطورية عالمية جديدة تقوم على خرائب روما القديمة تتحقق فيها العدالة والمساواة، وقد ألَّفه إثر نهب روما سنة ٤١٠م ودرس فيه تاريخها محمِّلا مسؤوليَّة الانحطاط وتدمير المدينة إلى فساد الحاكم، ورأى أنَّ حبَّ الذات المتأصِّل في المدينة الأرضيَّة يقود إلى انتهاك حرمة الله وأنَّ بلوغ المدينة السماويَّة يستوجب احتقار الذات وتعميق حبَّ الله. واعتبر أنَّ حبَّ الخير هو المبدأ الرئيسي والأساسي لكلِّ الأخلاق، وكان هٰذا الكتاب ملهماً للمدارس الاشتراكية علىٰ مختلف مدارسها!.

كانت ثقافة القديس **أوغسطين** جامعة بَيْنَ إتقان ضروب البلاغة وتعقُّب أثر السلف. وقد آمن بأنَّ طلب الحكمة ينطلق من الإيمان فوحَّد بذلك بَيْنَ الإيمان الديني واليقين العقلي في تحصيل المعرفة.

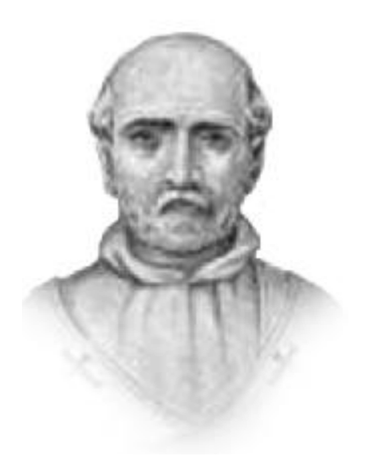
ما لا بُدَّ من الإشارة إليه ختاماً هو أنَّ **أوغسطين** من بين جميع آباء الكنيسة اللاتين الذين أدخلوا إلى نظام الكنيسة وإدارتها عناصر تشريعية رومانية، كان **أوغسطين** أعظمهم وأرفعهم مكانة، ويعدُّ رائد الفلسفة المسيحيَّة في العصر الكنسي الذي امتدَّ من القرن الثاني حَتَّىٰ القرن السادس الميلادي. وقد تأثر به تأثراً بالغاً من تلاه من الفلاسفة علىٰ الأقل حَتَّىٰ نهاية العصر الوسيط، بل لا تعجب إن وجدت له أتباعاً وأنصاراً ومدرسة في أوروبا وفي الشرق حَتَّىٰ في القرن العشرين.



*



البابا إيفاريستوس



البابا القديس **إيفاريستوس** . Evareste من أنطاكيا شمال سوريا. وفي قول آخر هو من بيت لحم بفلسطين، إذ إِنَّهُ ولد ببيت لحم في ١٧ نيسان/ أبريل عام ٤٤م حسب الويكيبيديا. تسنَّم كرسي الباباوية بَيْنَ عامي ٩٧م، و١٠٥م. وحسب «موقع الأنبا تكلاهيمانوت القبطي الأرثوذكسي فإنَّ فترة باباويته كانت ما بَيْنَ عامي ٩٩م، و١٠٧م، وترتيبه الزمني بَيْنَ الباباوات هو الخامس».

أما الويكيبيديا فإلىٰ جانب إشارتها إلىٰ «أنَّهُ خامس من شغل منصب البابا وفق قائمة بابوات الكنيسة الكاثوليكية الرسميَّة،فقد أتت بأرقام مختلفة لتوليه أسقفية روما فذهبت إلىٰ أنَّهُ بَيْنَ عامي ٩٨ أو ٩٩ وحَتَّىٰ ١٠٦ أو ١٠٧ أو

١٠٨، وأغلب النَّظريات الحديثة تشير إلىٰ ٩٨ حَتَّىٰ ١٠٦ كتاريخ معقول، وكان يعرف أيضًا باسم **آريستوس**»[(١٨)].

«واجه في فترة باباويته الكثير من الصعوبات الجدية والخطيرة بسبب الاضطهادات الغاضبة التي أثارها أباطرة روما في تلك الفترة، فاضطرت الكنيسة في ذٰلكَ الوقت للقيام بأنشطتها في سراديب الموتى المظلمة، وفي هٰذه السارديب كانوا يقومون بالوظائف المقدسة، وفيها تمنح الأوامر مقدسة»[(١٩)].

«أرسل رسالتين إلىٰ كنائس أفريقيا. وأنشأ في روما مجلساً من الكهنة لمؤازرته، واستمرَّ هٰذا التَّقليد إلىٰ يومنا هٰذا، هو ما يُسمى اليوم مجمع الكرادلة. وإليه تنسب حفلة تكريس الأواني المقدسة. استشهد في ٢٦/١١/ ١٠٧م أو ١٠٧م في روما ودفن قرب قبر القديس **بطرس**»[(٢٠)]. تذكاره في ٢٦/١١ من كل عام وهي ذكرى وفاته.



*

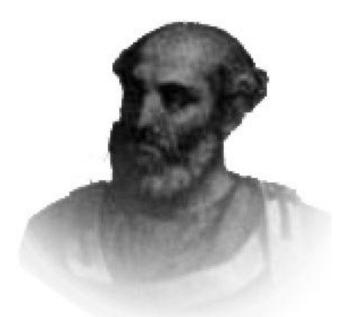
---

(١٨) - الويكيبيديا العربية والإنجليزية.

(19). Sant' Evaristo in: In Interris online international newspaper, Iscritto Registro Stampa Tribunale di Roma al n. 182 in data 23 luglio 2014.

(٢٠) - الدكتور متري هاجي أثناسيو: **سوريا تحكم روما** . دمشق . ٢٠٠١م. كتيب صغير أكثر ما اختص بالباباوات، صدر بالتزامن مع زيارة البابا يوحنا بولس الثاني إلىٰ دمشق عام ٢٠٠١م.

البابا ثيودورو الأول



البابا **ثيودورو الأول** . Theodore، تسنم كرسي البابوية بَيْنَ عام ٦٤٢م وعام ٦٤٩م. ولد في القدس بفلسطين. اشتهر بحبِّه للفقراء. في عهده انعقد المجمع اللتراني . Latran عام ٦٤٩م. من إنجازاته أن أدخل في روما عيد انتقال السيدة العذراء إلىٰ السماء.

توفي في ١٤ أيار/ مايو ٦٤٩م ودفن في كاتدرائية القديس بطرس بروما[٢١].

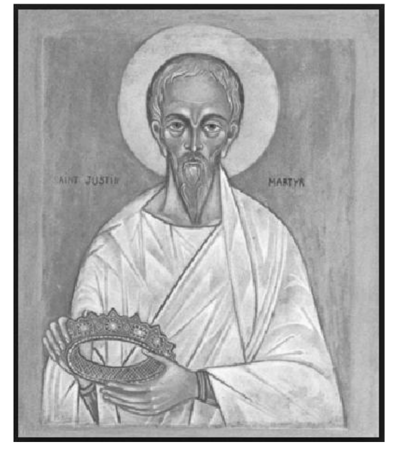


*

(٢١) . اعتمدنا في هٰذا الفصل علىٰ الويكيبيديا العربية والإنجليزية، وعلىٰ الدكتور متري هاجي أثناسيو: **سوريا تحكم روما** . دمشق . ٢٠٠١م. كتيب صغير أكثر ما اختص بالباباوات، صدر بالتزامن مع زيارة البابا يوحنا بولس الثاني إلىٰ دمشق عام ٢٠٠١م.



البابا جوستينوس



يوستينوس أو جوستين . Justin فيلسوف وقديس وشهيد. ثَمَّة أقوال في تاريخ ولادته فمن قائل إنها سنة ١٠٠م أو ١٠١م، ومن قائل إنها سنة ١٠٣م، وغيرهم بأنها ١٠٦م، ورُبَّما أخيراً من قالوا إنها ١١٠م أو نحوها. وحَتَّىٰ تاريخ استشهاده لم ينج من الخلاف فمن قائل بأنه ١٦٣م، ومن قائل بأنه ١٦٥م، وثَمَّة من يقول عام ١٦٧م. أمَّا أصله السوري النابلسي ومكان ولادته نابلس بفلسطين أي سوريا الجنوبية فلا خلاف فيها. وكذٰلكَ لا اختلاف في مكان

استشـــهاده برومــا. ولا اخـــتلاف أيضـــاً في معظـــم ســـيرته ومحطـــات حياتـــه وأعماله[٢٢].

ولد في نابلس لأسرة نابلسية تدين بالوثنية التي كانت هي السائدة تلك الأيـام، وعلىٰ الوثنيـة نشـأ وتـربى، بإشـراف والـده **بريسـكوس** النبيـل السـوري النابلسي، الذي أيضاً أدخله مدارس الفلسفة لينهل منها علىٰ اختلافاتها، فعرف أول ما عرف الفلسفة الرواقية التي تميل إلىٰ وحدة الوجود نوعاً ما، وتذهب في بعض توجهاتها إلىٰ أنَّ الأفعال قدرية جبرية. ثمَّ انعطف إلىٰ المدرسة الأرسطية المشهورة بالمشائية ولٰكنَّ **يوستينوس** سرعان ما ترك المدرسة لأنَّ المعلم أصر علىٰ أخذ الرسوم سلفاً، واتجه إلىٰ المدرسة الفيثاغورية، بقي فيها ردحاً من الزمن ثمَّ انتقل إلىٰ المدرسة الأفلاطونية التي أعجب بها إعجاباً شديداً واستراح قلبه لتعاليمها وخاصة تصور الخالق المفارق للوجود ومنظومتها الأخلاقية.

فيما كان يتردد إلىٰ المدرسة الأفلاطونية ذهب يوماً ليقضى بعضاً من الوقت في التأمل بعيداً عن الناس، التقى شيخاً فاستغرب من وجوده في هٰذا القفر، ثم دار بينهما حوار، وشرع الشيخ الذي كان راهباً مسيحيًّا يشرح له أن معرفة الله والنفس وعواقب الإنسان وما يلزم فعله للخلاص الأبدي لا يدركها أحد بمبادئ الفلاسفة ولا بتعاليمهم وأشار إلىٰ ضرورة النبوة، وأنَّ الأنبياء عرفوا الله الحق حقًّا وبشروا به العالم صدقًا من دون أن يطلبوا الأجر أو المجد، وأن لهم

(٢٢) ـ ثَمَّة تراجم له في معظم الموسوعات ومنها الموسوعات الإلكترونية العربية والأجنبية، ناهيكم عن بعض آثاره المنشورة وتصديراتها، اعتمدنا الوكيبيديا الإنجليزية والعربية وموقع بطريركية أنطاكيا وسائر المشرق للروم الأرثوذوكس.

كتب وأتباع، نصحه بالعودة إليها. وبالفعل مال **يوستينوس** إلىٰ قراءة الكتب المقدسة ولما وجدها قرأها بتأنٍ وإمعانٍ نظر، فوجد فيها ما أبهره وسحره، فاعتنق المسيحية.

اعتنق المسيحية في أفسس، ومنذ اعتناقه المسيحية كرس وقته بل حياته لنشر المسيحية وتبيانها وكان لهٰذا الشأن يتنقل من بلد إلىٰ بلد معلماً متجولاً شأن بعض الفلاسفة، ولم يضن بالدفاع عنها في ظلٍّ أوضاع غير محمودة تجاه المسيحية ومحاربة المؤمنين بها من حين إلىٰ حين. ولٰكنَّهُ في الوقت ذاته ظل مرتدياً ثوب الفيلسوف، قيل تستراً ورُبَّما يكون هٰذا صحيحاً، ولٰكنَّهُ كان فيلسوفاً ولا يوجد تعارض بَيْنَ تفلسفه وإيمانه.

وصل في تنقله وترحاله إلىٰ روما إبَّان حكم **أنطونيوس بيوس** الذي حكم ما بَيْنَ عام ١٣٨م وعام ١٦١م. وفي روما أسَّس مدرسة راح يشرح فيها الإيمان ويبشر به، ويجادل اليهود والوثنيين والهراطقة، وكان يكرر قوله: «لقد طرحت جانبًا كل الرغبات الشريرة الباطلة ومجدي الآن أن أكون مسيحيًّا، ولا شيء أشتهيه أكثر من أن أواجه العالم كمسيحي».

إلا أنَّ روما التي كانت تعادي المسيحية ذٰلكَ الحين لم تتقبله بصدر رحب، وواجه فيها نوعاً من الصدِّ وحاربه الفيلسوف الكلبي **كريسكنس** فوصفه **يوستينوس** بالجهل، وقيل إنَّ هٰذا وقد كان السبب في قتله. وصفه **يوسابيوس** قائلاً: «في تلك الأيام أشتهر **يوستينوس** بصفةٍ خاصَّةٍ الذي تنكر بهيئة فيلسوف ليبشر بالكلمة الإلهية، ويدافع عن الإيمان بكتاباته».

يتابع **يوسابيوس** قائلاً في ذكر سبب قتله إنَّ **يوستينوس** قتل نتيجةً لمؤامرة دبرها ضده الفيلسوف الكلبي **كريسكنس** بعد أن هزمه **يوستينوس** مرارًا وأحرجه في مناقشات ومناظرات عامة، وقتل معه خمسة رجال وامرأة عام ١٦٥م. فقد سعى للتخلّص منه ورفاقه الستة بينهم امرأة، وتسبّب في قبض الوالي **روستيكوس** عليهم، وبعد اعترافهم بأنَّهُم مسيحيِّون جُلدوا وقُطعت أجسادهم.

وضع **يوستينوس** الفيلسوف القديس عشرات المؤلفات قيل إنها خمسين وقيل أقل وقيل أكثر، بعضها موجود وبعضها مفقود، ونسبت إليه بعض المؤلفات التي تربو علىٰ عشر. ومن هٰذه المؤلفات:

١ – الدفاع الأول الذي قدمه إلىٰ الإمبراطور **أنطونيوس بيوس** ونجليه **أويريسيموس** الفيلسوف **ولوكيوس** الفيلسوف.

٢ – الدفاع الثاني الذي قدمه إلىٰ الإمبراطور **مرقص أوريليوس**.

٣ – حوار مع تريفونا.

٤ – استشهاد بطوليمايوس ولوكيوس.

٦ – رسالة ضد جميع الهرطقات، رسالة مفقودة أشار إليها يوستينوس ذاته في الفصل السادس والعشرين من الدفاع الأول قائلًا: «ولي رسالة أتممتها ضد جميع الهرطقات التي وجدت، أعطيها لكم إن شئتم مطالعتها».

٦ – إلى اليونانيين، كتاب مفقود أشار إليها **يوسابيوس** قائلاً: «هنالك مؤلف ضد اليونانيين يناقش فيه **يوستينوس** بتوسع معظم المسائل المختلف عليها بَيْنَنا وبَيْنَ فلاسفة اليونانيين، ويبحث فيه كذٰلكَ عن طبيعة الشياطين».

٧ – مراجعة إلى اليونانيين، كتاب مفقود.

٨ – سلطان الله، كتاب مفقود، ذكره **يوسابيوس** قائلاً: «يوجد مؤلف آخر عن (عظمة الله وسلطانه) بناه ليس فقط على كتبنا المقدسة بل أيضًا على كتب اليونانيين».

٩ – المزامير أو التراتيل، كتاب مفقود.

١٠ – دراسة حول النفس، كتاب مفقود، ذكره **يوسابيوس** قائلاً: «وبحث آخر عن النفس شرح فيه عدة مسائل عن موضوعه، وبعد ذلك بين آراء فلاسفة اليونان ووعد بدحضها وتقديم رأيه الشخصي في مؤلف آخر».

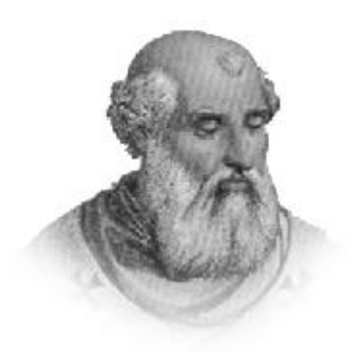
١١ – ضد مركيون، كتاب مفقود.

١٢ – تفسير الأبوكاليبسيس (الرؤيا)، كتاب مفقود.





البابا زكريا



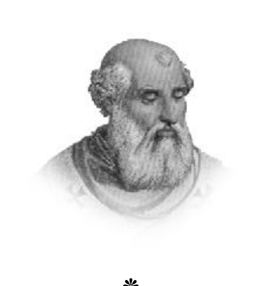
البابا القديس **زكريا** هو البابا الواحد والتسعون من حيث الترتيب الزمني، آخر بابا. ولد سنة ٦٧٩م في إيطاليا، ورُبَّما لذٰلكَ فقد رأى بعضهم ومنهم ما في الويكيبيديا بأنَّهُ يوناني ولٰكنَّ الجميع يقر بأنه شرقيٌّ. تم انتخابه في ٢٠ كانون الأول/ ديسمبر عام ٧٤١م، خلفاً للقديس **غريغوريوس الثالث** السوري الأصل واستمر في باباويته نحواً من أحد عشر عاماً حَتَّىٰ توفي في ٢٢ آذار/ مارس عام ٧٥٢م[٢٣].

تميَّز البابا **زكريا** بطيبته وذكائه. استمر في سياسة الصداقة مع الفرنج التي كان قد باشر بها أسلافه. وعارض بشدة وايتش دوق مزيول الذي أبدى النية باحتلال ايطاليا وبالتالي تم تكريسه راهباً، وافق بصورة قاطعة علىٰ اعتلاء **بيبان**

(٢٣) - الدكتور متري هاجي أثناسيو: **سوريا تحكم روما** . دمشق . ٢٠٠١م. كتيب صغير أكثر ما اختص بالباباوات، صدر بالتزامن مع زيارة البابا يوحنا بولس الثاني إلىٰ دمشق عام ٢٠٠١م.

لو بريف العرش وعلىٰ شرعية لقبه الملكي... توَّج **بونيفاسيوس بيبانَ** ملكاً سنة ٧٥١م، وكان هٰذا أول تتويج في التاريخ لملك يتم بتفويض باباوي. عقد زكريا معاهدة سلام مع اللومبارديين. أما في بيزنطية استمرت محاربة الأيقونات في عهد **قسطنطين الخامس** ابن **ليون الثالث**.

توجد علىٰ أحد جدران كنيسة السيدة القديمة في روما صورة كبيرة للبابا رُسمت سنة ٧٤١م.



*

البابا سرجيوس الأول



البابا القديس **سرجيوس الأول** . San Sergio I هو البابا الرابع والثمانون في الترتيب الرقمي للباباوية. تسنم الباباوية وعمره ٣٧ عاماً لنحو أربع عشرة سنة إلا قليلاً إذ امتدت فترة باباويته من ١٥ كانون الأول/ ديسمبر عام ٦٨٧م، وقيل في ١٥ شباط/ فبراير من العام ذاته إلىٰ ٨ أيلول/ سبتمبر عام ٧٠١م[٢٤].

ولد سنة ٦٥٠م في مدينة باليرمو بجزيرة صقلية بإيطالية من أسرة سورية أنطاكية. نشأ في روما وتعلم في مدارسها واضطلع بالفن الموسيقى فعلمه واهتم بالكنيسة الأنطاكية وبسورية.

أعلنت حبريته بعد فساد انتخاب اثنين من الباباوات. حاول أن يضع حداً للانشقاق الذي تطور في روما وأمر بتوقيف انشقاق أكيابي وعيده في ٩

(٢٤) . اعتمدنا في هٰذا الفصل علىٰ الويكيبيديا العربية والإنجليزية، وعلىٰ الدكتور متري هاجي أثناسيو: **سوريا تحكم روما** . دمشق . ٢٠٠١م. كتيب صغير أكثر ما اختص بالباباوات، صدر بالتزامن مع زيارة البابا يوحنا بولس الثاني إلىٰ دمشق عام ٢٠٠١م.

أيلول. كان رئيس الشمامسة **باسكال** قد وعد حاكم رافينا بمبلغ من المال ليجعله بابا. وبما أنَّ **باسكال** هٰذا لم يف بوعده، فقد اعترف هٰذا الحاكم بالبابا الشرعي حَتَّىٰ يرغم **باسكال** علىٰ دفع المبلغ الموعود به.

كان هٰذا نوعاً غريباً من السيمونية. ثمَّ قام رئيس كهنة يدعى **تيودور** ونصَّب نفسه بابا آخر زوراً ولٰكنَّهُ لم يستطع البقاء طويلاً. كان الإمبراطور **جوستنيانوس الثاني** يبتغي إثارة النزاعات من جديد في روما؛ لذٰلكَ دعا سنة ٦٩٢ إلىٰ عقد المجمع المعروف بمجمع القبة. لم يثر هٰذا المجمع مجادلاتٍ لاهوتيَّةً عقائديَّةً جديدة، بل كان يبتغي أن يفرض علىٰ روما وعلىٰ الغرب النِّظام الكنسي الشَّرقي. رفض **سرجيوس** التَّصديق علىٰ قوانين هٰذا المجمع، ومن بَيْنَ القاوانين التي رفضها القانون الذي لا يسمح بتبتُّل (عزوبية) الكهنة. كان الإمبراطور مصمماً علىٰ عزل **سرجيوس** لٰكنَّ الشَّعب الروماني دافع عنه وحال دون ذٰلكَ.

ووطَّد العلاقات مع فرنسا وجعل القديس **ويلليبرورد** رسول فريز مطراناً... وقد ساس الكنيسة بروح الحكمة والغيرة والمحبة. ينسب إليه أنَّهُ أدخل **سرجيوس** كلمة: «حَمَل الله» في القداس. أي «يا حمل الله الحامل خطايا العالم ارحمنا»، وكذٰلكَ وضع عيدي تقدمة المسيح إلىٰ الهيكل وعيد البشارة، وأعياد السيدة (ميلادها، تقدمتها، بشارتها، وانتقالها). وألف ترانيم شعبية لعيدي القديس بطرس وبشارة والدة الإله. رمم كنائس عدة. رسم ٩٢ أسقفا.

*

البابا سيسينيوس



البابا **سيسينيوس** أو **ساسين** أو **سيسينيو** ـ Sisinius اسمه من أصلٍ فينيقيٍّ ويعني (الملتَهب بالنعمة). وهو البابا السابع والثمانون. سوري ولد بسوريا. لا تتوافر عنه أيُّ معلومات تذكر، حَتَّىٰ فترة حبريته قد مضت من دون أيَّة أحداث تُذكر فقط توفي بعد عشرين يوماً فقط من انتخابه(٢٥).

جرى انتخابه بابا في ١٥ كانون الثاني/ يناير عام ٧٠٨م، خلفاً للبابا **يوحنا السابع** في فترة حكم الامبراطور **جوستنيانوس الثاني**، وتوفي في ٤ شباط/ فبراير عام ٧٠٨م. ولما كانت حبريته العظمى لفترة قصيرة للغاية فلم تتضمن أعمالاً مهمة. فقد تسلَّم السدَّة الرسولية لمدَّة دامت ثلاثة أسابيع فقط لم يتمكن خلالها من تسجيل إنجازات كنسية كثيرة باستثناء تنصيبه مطران كورسيكا.

---

(٢٥) ـ اعتمدنا في هٰذا الفصل علىٰ الويكيبيديا العربية والإنجليزية، وعلىٰ الدكتور متري هاجي أثناسيو: **سوريا تحكم روما** ـ دمشق ـ ٢٠٠١م. كتيب صغير أكثر ما اختص بالباباوات، صدر بالتزامن مع زيارة البابا يوحنا بولس الثاني إلىٰ دمشق عام ٢٠٠١م.

لٰكنَّهُ علىٰ الرَّغْمِ من مرضه الذي جعله عاجزاً حَتَّىٰ عن تناول الطعام بنفسه إثر إصابته بداء النقرس، إلا أنَّهُ اشتهر بشخصيته القوية وقد بنى لأهل رومة أتاتين (جمع أتون) وأمر بترميم أسوار المدينة تحصينا لها من هجمات اللومبرديين المستمرة... وقد كانت الهبات التي قدَّمها للكنيسة خجولة بالقياس إلىٰ قدَّمه غيره من الباباوات، وهٰذا فيما يرى المؤرخون مؤشِّر علىٰ الخلفية المتواضعة التي أتى منها.



*

البابا غريغوريوس الثالث



البابا القديس **غريغوريوس الثالث** . Gregorius III هو البابا التسعون بالترتيب الزمني. ولد في سورية في مدينة صور ونشأ فيها. تم انتخابه حبراً أعظم في ٢٨ آذار/ مارس عام ٧٣١م خلفاً للقديس **غريغوريوس الثاني**، واستمر في باباويته حَتَّىٰ توفي في ٢٨تشرين الثاني/ نوفمبر عام ٧٤١م، فدامت باباويته عشر سنوات(٢٦).

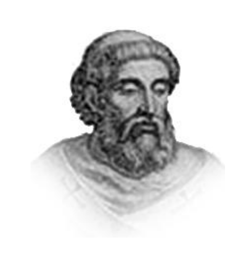
هو آخر الباباوات السوريين ممن سعوا لنيل موافقة السلطة البيزنطية قبل تولي السدَّة البطرسية. فور وصوله، سعى هٰذا البابا إلىٰ حمل الامبراطور **ليون الثالث** إلىٰ التَّصدي لتحطيم الأيقونات الدينية التي كانت موضع جدلٍ في الامبراطورية، فما كان من الامبراطور إلا أن نقل السلطة الكنسية إلىٰ بطريرك

(٢٦) . اعتمدنا في هٰذا الفصل علىٰ الويكيبيديا العربية والإنجليزية، وعلىٰ الدكتور متري هاجي أثناسيو: **سوريا تحكم روما** . دمشق . ٢٠٠١م. كتيب صغير أكثر ما اختص بالباباوات، صدر بالتزامن مع زيارة البابا يوحنا بولس الثاني إلىٰ دمشق عام ٢٠٠١م.

القسطنطينية وحاول الاستيلاء علىٰ ما أمكنه من الأوقاف الكنسية في إيطاليا. لٰكنَّ البابا استمرَّ في رفض إتلاف الأيقونات والصُّور الدينية.

علىٰ الرَّغْمِ من خلافه مع الإمبراطور، لم يتوانَ البابا **غريغوريوس** الثالث عن التنسيق مع الامبراطورية الشرقية لاسترجاع رافينا بعد أن استولى عليها اللومبارديون وهم قبيلة جرمانية حكمت إيطاليا. ومن هنا حصل علىٰ لقب مسيحي عظيم الذي ناله أيضاً عموم خلفائه من نِعَمٍ حَتَّىٰ إنَّ التَّقدمات الخبرية أصبحت تسمى «فلس مارك بطرس». استمرَّ البابا في تحصين جدران روما في مواجهة خطر اللومبارديين وحاول إقناع الإفرنج بمساعدته لٰكنَّهم رفضوا الدخول في النزاع. لم يتمكَّن البابا **غريغوريوس** من ردع اللومبارديين.

عقد مجمعاً في كنيسة **القديس بطرس** عام ٧٣١م ضد محاربي الأيقونات، ضم ١٩٣ أسقفا، فتقرر فيه واجب وحق تكريم الأيقونات. ومن مآثره بناء مصلى في كاتدرائية **القديس بطرس** وتزيينه بالصور، وإنشاء دير كبير، وترميم أسوار مدينة رومة القديمة. رسَّم ٨٠ أسقفاً. منع الأرامل من أن يتزوجن مرَّةً ثالثة في حياتهن. أسعف الأرامل واليتامى. برز واعظاً فصيحاً، وجمع إلىٰ الحكمة معرفة الكتب المقدسة، وتضلع من العلوم والآداب اليونانية واللاتينية. اشتهر بقداسته.



*

البابا قسطنطين الأول



البابا قسطنطين - Papa Costantinus هو أحد البابوات السوريون ومن أبرز البابوات الشرقيين الذين اعتلوا البابوية قبل الأنقسام الشَّرقي والغربي[٢٧]. ولد بسوريا سنة ٦٦٤م، وتوفي سنة ٧١٥م. هو البابا الثَّامن والثَّمانون في الترتيب الزَّمني للباباوات. جرى انتخابه في ٧٠٨/٣/٢٥م خلفاً للبابا **سيسينيوس** وبقي كذٰلكَ حَتَّىٰ وفاته في ٧١٥/٤/٩م. وقد ورد اسمه بعدة صيغ مثل: **البابا قنسطنطين، البابا كستنتين، البابا كونستانتين، البابا كونستنتين.** كل ذٰلكَ تبعاً للغات الأوروبية. فقد دعاه الملك **جوستينيانوس** إلىٰ القسطنطينيَّة ليعيد البحث في الأنظمة الكنسية التي أقرَّها مجمع ٦٩٢م، واستقبله قرب المدينة وركع إلىٰ الأرض وقبَّل قدميه، فدرجت منذ ذٰلكَ الحين عادة تقبيل قدمي البابا. وبعد سنة قفل البابا راجعاً إلىٰ روما.

---

(٢٧) . اعتمدنا في هٰذا التعريف علىٰ سعد صائب: **دور سورية في بناء الحضارة الإنسانية** . مرجع سابق. وعلىٰ الويكيبيديا العربية وعلىٰ موقع الكنيسة القبطية.

فيما ذكرت الويكيبيديا فإنَّ البابا الثالث والأخير في التاريخ الذي سافر إلىٰ بيزنطة، فكانت هٰذه هي الزيارة الأخيرة التي يقوم بها بابا روما إلىٰ الشَّرق، قبل حج البابا **بولس السادس** إلىٰ القدس (١٩٦٤). أدخل عادة تقبيل القدم المقدسة لتمثال **القديس بطرس**، المصنوع من البرونز، دلالة علىٰ الطاعة.

وقد نجح في إبرام اتفاق بخصوص مجمع القبَّة (ترللو) الذي عقد سنة ٦٩٢م. ولٰكن بعد ذٰلكَ بثلاثة أشهر اغتيل **جوستنيانوس الثاني**، وهو آخر واحدٍ من سلالة **هرقل**، الوحش الذي يشبه **فوكاس** في سالف العصر. وقد رأى البابا الجماهير تطوف برأس **جوستنيانوس**، في موكب ثائر مريع مطلقة صيحات البهجة والفرح، عبر شوارع روما، إذ جيء برأسه إليها. وكان هٰذا الحدث بمنزلة الرَّمز الدموي للقطيعة مع كنيسة الشَّرق. حاول **فيليبيكوس بردانيس** المغتصب إعادة إحياء مذهب المشيئة الواحدة في المسيح (مونتولية) بالقوَّة. ولٰكنَّ **البابا قسطنطين** أبى الاعتراف رسميًّا بهٰذا المغتصب وقد كرَّس بذلك القطيعة السِّياسية مع بيزنطية.

بالإضافة لكونه سريانيًّا بما يعني إتقانه اللغة السِّريانية فقد كانت له معرفة باللغة اللاتينية واليونانيَّة. قاد بعض الإصلاحات الكنسيَّة، وقد وضع بالممارسة عادة (تقبيل القدم المقدسة) للتمثال البرونزي المصنوع للرسول **بطرس**. من ٢٥ آذار ٧٠٨م واستمرت حَتَّىٰ وفاته في ٩ نيسان ٧١٥م.



*

البابا يوحنا الخامس



البابا القديس **يوحنا الخامس** ـ JEAN III وهو الثاني والثمانون من حيث الترتيب الزمني، وأيضاً هو الأول في سلسلة البابوات العشرة أو الأحد عشر السوريين أو ذوي الأصول السورية(٢٨).

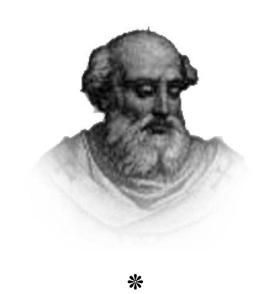
ولد في أنطاكية ببلاد الشّام، ودرس في رومة، فنبغ في العلوم. كان شماسا إنجيليا عندما أرسله البابا أغاثون إلى القسطنطينية قاصدا رسوليا ينوب عنه في ترأس المجمع المسكوني السادس المنعقد في كنيسة القبة (In Trullo) في البلاط الملكي (٦٨٠-٦٨١). لم يطل الأمر به بابا أكثر من سنة وشهر إذ تم انتخابه في ٢٣تموز/ ٧-٦٨٥م، خلفاً للبابا القديس **بندكتس الثاني**. توفي في ٢تموز/ يوليو عام ٦٨٦م.

---

(٢٨) ـ اعتمدنا في هٰذا الفصل علىٰ الويكيبيديا العربية والإنجليزية، وعلىٰ الدكتور متري هاجي أثناسيو: **سوريا تحكم روما** ـ دمشق ـ ٢٠٠١م. كتيب صغير أكثر ما اختص بالباباوات، صدر بالتزامن مع زيارة البابا يوحنا بولس الثاني إلىٰ دمشق عام ٢٠٠١م.

وقد جرى اعتلاؤه السدة البابوية بفضل تدخل بلاط بيزنطة أيام الامبراطور **جوستينيان الثاني** ٦٨٥-٦٩٦ الأولى، إذ أوعز بإعادة تنظيم أبرشيتي سردينيا وكورسيكا مطالباً الكرسي الرسولي بحق تسمية أساقفة الجزيرة.

نظم شؤون أبرشيتين في إيطاليا ورسم ١٣ أسقفا. حل الوفاق أثناء بابويته بين مدينة روما والإمبراطورية البيزنطية. قبل وفاته أوصى بتوزيع أملاكه على الأديرة والفقراء.



*

الخاتمة

لا شكَّ في أنَّ أي موضوع مهم بالنسبة إِلىٰ صاحبه، وأي كتاب عند صاحبه مهم، وتتفاوت طرف التبعير عن المشاعر بهذه الأهمية من كاتب لآخر بطبيعة الحال والقدرات والمهارات وحَتَّىٰ الإدراكات.

ولٰكنَّ هٰذه المعادلة نفسية لا موضوعية، أعني أَنَّهَا غير دقيقة في ميزان الأهميَّة، فلا يمكن أن تكون الموضوعات كلها سواء، ولا الكتب كلها سواء. وليست شهرة الكتاب دائماً شرطاً صحيحاً أو دقيقاً تقدير في أهمية الكتاب، ولا حَتَّىٰ مدى تناوله من النقاد والباحثين وأضرابهم، فبعض الكتب نالت من الشهرة أكثر مما تستحق بكثير، وأكثر من الكتب التي تستحق الشهرة أكثر منها بكثير، وهي عاديَّة أو رُبَّما لا قيمة لها دفعتها ظروف معينة إِلىٰ مصاف متقدمة من الشهرة. وفي الوقت ذاته ليست كثرة تناول النقد والباحثين لهٰذا الكتاب أو ذاك معياراً دقيقاً لزعم أن الكتاب ذا أهمية كبيرة فأيضاً قد تقوم ظروف معينة بدفع هٰذا الكتاب أو ذاك إِلىٰ تناول الباحثين أكثر من غيره.

والعكس صحيح أيضاً. إلا المنطق يقوم إنَّ أكثر الكتب التي اشتهرت لها قيمة عليا من الأهمية، وأكثر الكتب التي تناولها الباحثون بكثرة لها قيمة عليا من

الأهمية... هٰذا مقتضى المنطق، وهو صحيحٌ حَتَّىٰ في زحمة وسائل الإعلام في هٰذه الأيام وكثرتها التي تكاد لا تُصَدَّق.

وعَلىٰ أيِّ حال فإنَّهُ من البداهة بمكان أن المعيار النفسي لتقدير قيمة الموضوع أو الكتاب غير دقيقة، فللأهمية معايير ومقاييس... وفرق بَيْنَ الموضوع والكتاب. قد يكون الموضوع بالغ الأهمية والكتاب أو البحث الذي عالجة ساقطاً أو ناقصاً أو مبتوراً أو سطحيًّا أو غير ذٰلك كثير. وفي الوقت ذاته قد يكون الموضوع عاديًّا ولكن براعة الكاتب ومهارته جعلته يعالج الموضوع بتشويق وإثارة ودقة وجمالية بالغة. وغالباً غالباً وليس دائماً فإنَّ الكاتب الماهر يختار موضوعات مهمة.

الموضوع الذي طرحته في هٰذا الكتاب وسلسلة الكتب التي تدور حول فكرة واحدة هي أزمة نزيف العقل العربي من أكثر الموضوعات أهمية وخطورة، هي لا تتحدث عن أشخاص نوابغ هاجروا من الوطن وصاروا علماء وفلاسفة وسياسيين في بلاد المهجر. الصورة كَذٰلكَ في حقيقة الأمر، ولٰكنَّ جوهر المسألة هو الأهم وهو الكبير والخطير. وقد ناقشت هٰذا الجوهر أول ما ناقشته في كتابي: انهيار مزاعم العولمة الذي كتبته في عام ١٩٩٦/ ١٩٩٧م ونشر عن طريق اتحاد الكتاب العرب بدمشق عام ٢٠٠٠م. وتوسعت فيه في كتابي: قضايا الفكر العربي المعاصر الذي صدر عن جامعة تشرين باللاذقية في سوريا عام ٢٠٠٦م، وكذلك بَيْنَهما كانت المناقشة الأوسع في كتابي نزيف العقل العربي الذي صدر عن دار العالم العربي عام ٢٠١٦م، تساءلت وأجبت: لماذا العقل الشَّرقي قابل للهجرة والذوبان في الغرب، بَيْنَما لا نجد هٰذه القابلية عند العقل الغربي؟

ناقشت هٰذه المسألة بتوسع ما في هٰذين الكتابين لأنَّ مسودة هٰذا الكتاب وهٰذه السِّلسلة من كتب نزيف العقل العربي كانت جاهزة في حقيقة الأمر ومن وحيها استمديت المعالجة والمناقشة.

لذٰلكَ لن أطيل في الوقوف عند هٰذه المسألة الجوهرية وإنما أردت أن ألفت الانتباه إِلىٰ مسألة مهمة في هٰذا الإطار وهي أني لا أتحدث عن أسماء وأسماء لمحض عرض تاريخ وتفاخر بهذا التاريخ، وحق التفاخر أمر مشكوك فيه عند الكثيرين في حقيقة الأمر، أفلو بقي فاروق الباز مثلاً في مصر أكان ليكون ذٰلك العالم الكبير الجليل عَلىٰ مستوى العالم؟ وكذلك غيره الكثير من العلماء النوابغ العرب في بلاد الغرب وكثير منهم كان موضوع كتابنا؛ نجوم عربية تستطع في سماء الغرب، ضمن سلسلة عَلىٰ هامش نزيف العقل العربي.

مشكلتي في هٰذا الكتاب وهٰذه السلسلة وإن بدا بعضها الكثير استعراضاً لتواريخ أشخاصٍ استثنائيين في التاريخ البشري كله فإنها تسلط الضوء عَلىٰ نزيف العقل العربي وأسبابه وآلياته ودوافعه ساء من قبل الأنظمة الحاكمة أو من قبل العقلية الشرقية ذاتها، فإذا كانت الأنظمة العربية تمارس عملية تهجير الكفاءات وطردها بممارسة قصدية وليست تصادفية فإنَّنا نتساءل: فما بال القرون الماضية؟

ما حدث ويحدث اليوم من نزيف للعقل العربي ليس ظاهرة جديدة ولا مستحدثة، إِنَّهُ ظاهرة قديمة.

في هٰذا الكتاب وخاصة المقدمة والباب الأول تبدت لنا بعض الحقائق التي تركناها بتلميحات للنابهين، وعالجنا في كتابنا المخطوط دمشق ا لشام والقداسة التاريخية، الذي كان في أصله محاضرة ألقيت بالمركز الثقافي في جبلة بسوريا عام

٢٠٠٧م، ولٰكنَّ هٰذه المعالجة كانت من زاوية أُخرىٰ، تكشف عن حقائق مختلفة ولٰكنَّهَا مفيدة في تفسير ظاهرة الهجرة عامة وهجرة العقول العربية وخاصة السورية إِلىٰ الغرب.

أعود إِلىٰ أهمية الموضوع والكتاب. الموضوع مهم أهمية استثنائية بكل تأكيد، ولٰكن هل كان الكتاب وسلسلة الكتب بأهمية الموضوع الذي تناولته؟

هٰذا ما أرجوه.

أرجو أن أكون قد وفقت في تناول موضوعات هٰذه السلسلة من كتب: عَلىٰ هامش نزيف العقل العربي. وأن أكون قد وفقت في معالجتها.

فإن وفقت فهذا من فضل الله وتوفيقه، وإن قصرت أو أخطأت فمن نفسي وتقصيري.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قياصرة روما السوريون

على هامش نزيف العقل العربي

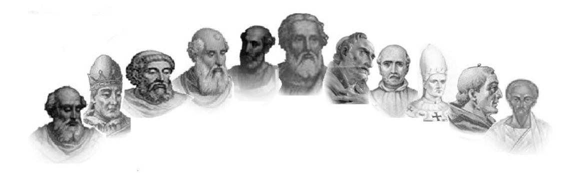
الدكتور عزت السيد أحمد

*

ثبت المراجع

- بشير زهدي (الدكتور): **أميرات سوريات حكمن روما** . المجلس السُّوري الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية . دمشق . ١٩٧٨م.
- جميل حمداوي: **من أبطال المقاومة الأمازيغية القديس أوغسطين**- الحوار المتمدن- العدد ٢١٨١ – تاريخ ٤ / ٢ / ٢٠٠٨م.
- زوني أيلي ألفا: **موسوعة أعلام الفلسفة** . دار الكتب العلمية . بيروت . ١٩٩٢م جـ٢ . ص ٤٨١ . ٤٨٢ .
- سعد صائب: **دور سورية في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ القديم** . دار طلاس . دمشق . ١٩٩٤م.
- عبد الرحمن بدوي (الدكتور): ***موسوعة الفلسفة*** – الجزء الأول . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . ١٩٨٤م.
- عزت السيد أحمد: **السوريون بناة حضارات الإغريق واليونان والرومان** . دار العالم العربي . عمان . ٢٠١٧م.
- عزت السيد أحمد (الدكتور): **نزيف العقل العربي؛ رؤى في هجرة الكفاءات العربي** . دار العالم العربي . عمان . ٢٠١٦م.
- غسان فينيانس: **تاريخ الفلسفة القديمة** . جامعة دمشق . ١٩٨٢م.
- فريدريك كوبلستون: **تاريخ الفلسفة؛ من أوغسطين إلى دانز سكوت**- ترجمة إمام عبد الفتاح إمام وإسحق عبيد . المركز القومي للترجمة . القاهرة.
- مايكل هارث: **المئة الأوائل** . ترجمة خالد أحمد عيسى وغسان سبانو . دار قتيبة . دمشق . ١٩٨٢ .

- متري هاجي أثناسيو (الدكتور): **سوريا تحكم روما** . دمشق . ٢٠٠١م.
- مجموعة من المؤلفين: **الموسوعة العربية الشاملة** . مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع . القاهرة . ١٩٩٩ .
- محمد شفيق الغربال: **الموسوعة العربية الميسرة** . مؤسسة دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للنشر . القاهرة . ١٩٦٥م.
- الموسوعة البريطانية. نسخة إلكترونية.
- وديع بشور (الدكتور): **الميثولوجيا السُّورية؛ أساطير آرام** . دون ناشر . ١٩٨٩م.
- ول ديورانت: **قصة الحضارة** . ترجمة زكي نجيب محمود وآخرون . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . القاهرة . ج١٢ .
- الويكيبيديا العربية والإنچليزية (مواقع عَلىٰ الإنترنت).
- يوسابيوس القيصري: **تاريخ الكنيسة** . ترجمة القس داود . ١٩٦٠م.
- يوسف الحوراني: **مجاهل تاريخ الفينيقيين؛ سانخونياتن البيروتي وفيلون الجبيلي** . دار الثقافة ودار العودة . بيروت . ١٩٩٩م.
- يوسف الحوراني: **نظرية التكوين الفينيقية وآثارها في حضارة الأغريق** . دار النهار . بيروت . ١٩٧٠م.
- يوسف كرم : **تاريخ الفلسفة الأوروبية الوسيطة** . دار القلم . بيروت . د.ت.



*

المؤلف في سطور

- الدكتور عزت لسيد أحمد.
- أديب وباحث في الدراسات الفلسفية.
- إجازة/ دبلوم/ ماجستير/ دكتوراه في الفلسفة في كليَّة الآداب بـ جامعة دمشق.
- دبلوم تأهيل تربوي من كليَّة التربية بـ جامعة دمشق.
- مدرس ثمَّ أستاذ مساعد ثمَّ أستاذ في قسم الفلسفة بجامعة تشرين منذ عام ١٩٩٤ حَتَّىٰ ٢٠١٢م.
- رئيس قسم الفلسفة في جامعة تشرين منذ عام ١٩٩٨م إلى ١٩٩٩م.
- رئيس قسم الفلسفة في جامعة تشرين منذ عام ٢٠٠٦م إلى ٢٠١٠م.
- محاضر في قسم المناهج في كلية التربية بجامعة دمشق ـ ١٩٩٣ـ ١٩٩٨م.
- محاضر في المعهد الوطني للإدارة منذ تأسيسه عام ٢٠٠٣م حتى ٢٠١٢م.
- محاضر في كلية العلوم السياسية بجامعة دمشق عام ٢٠٠٦م ـ ٢٠٠٧م.
- عضو مساهم في تحديث قانون تنظيم الجامعات بسوريا عام ٢٠٠٥/٢٠٠٦م.
- عضو لجنة (برنامج قطاع تطوير التعليم العالي في سوريا ـ UHES) ـ ٢٠١٠م.
- باحث زائر في جامعة مارتن لوثر بألمانيا ـ ٢٠١٠م.
- أستاذ دراسات عليا زائر في قسم الفلسفة بالجامعة الأردنية ـ ٢٠١٣م ـ ٢٠١٤م.

- أستاذ الفلسفة الإسلامية في جامعة بولاند أجاويد ـ تركيا منذ ٢٠١٥م.
- مرشح لوسام الشخصيات الأكثر تأثيراً في العالم عام ٢٠١٣م في كلية ويلدنبرج الدولية.
- شارك في الكثير من المؤتمرات العلمية محاضراً ومنظماً في عدد من الدول العربية والأجنبية.
- شارك في تحكيم الكثير أطروحات الماجستير والدكتوراه في عدد من الدول العربية والأجنبية.
- شارك في تحكيم عشرات الأبحاث العلمية للمجلات والمؤتمرات والمراكز البحثية.

من مؤلفاته البحثية والإبداعية:

- أخلاق التخلف؛ مقالات فلسفية ـ دار فن وعلم ـ طرابلس ـ ٢٠١٨م.
- أعاجيب السياسة الأمريكية ـ دار الفكر الفلسفي ـ دمشق ـ ٢٠٠٨م.
- أسس التوثيق؛ نحور نظرية عربية في التوثيق ـ دار الفكر الفلسفي ـ دمشق ـ ٢٠١١م.
- إشكالية تعدد المناهج ـ دار العالم العربي ـ عمان ـ ٢٠١٧م.
- آفاق التغير الاجتماعي والقيمي؛ الثورة التقانية والتغير القيمي ـ الفكر الفلسفي ـ دمشق ـ ٢٠٠٥م.
- آفاق التمدد الفارسي ـ دار العالم العربي ـ بيروت ـ ٢٠١٥م.
- الأمم المتحدة بين الاستقلال والاستقالة والترميم ـ دار الفتح ـ دمشق ـ ١٩٩٣م.

- أَميرة النَّار والبحار (شـعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشـق . ١٩٩٧م.
- أَنا صدى الليل (شعر) . دار الأَصالة للطباعة – دمشـق – ١٩٩٥م.
- أنا لست عذري الهوى (شعر) . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٩م.
- أنا والزمان خصيمان . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- أنا وعيناك صديقان (شعر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠١م.
- الإنسان يأكل الإنسان؛ ملحمة شعرية . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ٢٠١٨م.
- أُنشودة الأَحزان (شعر) – دار الأصالة للطباعة – دمشـق . ١٩٩٦م.
- انهيار أسطورة السلام؛ مصير السلام العربي الإسرائيلي . ط١: مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٦م. ط٢: دار الفكر الفلسفي . دمشق . الطبعة الثانية ٢٠٠١م.
- انهيار إنسانية الإنسان . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- انهيار أوهام فوبيا الإسلام . كيملك يايانلان . قيصرية . تركيا . ٢٠١٧م
- انهيار الشعر الحر – دار الثقافة – دمشـق (ط١) ١٩٩٤م. . دار الفكر الفلسفي . دمشـق – (ط٢) ٢٠٠٣م.
- انهيار دعاوى الحداثة – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٥م.
- انهيار قيم المعارضة العربية . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- انهيار مزاعم العولمة؛ قراءة في تواصل الحضارات وصراعها . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٠م.
- انهيار النظام العربي . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.

- انهيار وهم الحوار بَيْنَ الحضارات . إيبرو للطباعة . بيروت . ٢٠١٦م.
- الأيديولوجيا والعلم؛ العلاقة بَيْنَ الأيديولوجيا والعلم والفهم . دار فن وعلم . طرابلس . ٢٠١٧م
- البحيري؛ عبقرية وغربة وجمال . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٦م.
- بديع الكسم . وزارة الثقافة . دمشق – ١٩٩٤م.
- بشرية عمياء عرجاء؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- بطيخة للاستئناس؛ قصص قصيرة . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ٢٠١٨م.
- ترامب ضمير الغرب؛ جموح ووضوح وسياسة على المفضوح؛ مقالات سياسية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٩م.
- تصنيف المقولات الجمالية . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- تطوير التعليم العالي؛ الواقع والمشكلات والمقترحات . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- تفجيرات أيلول وصراح الحضارات؛ الولايات صنعت الحدث لتصنع المستقبل . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٣م.
- تمهيد في علم الجمال . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- التهكم وفن الإضحاك عند الجاحظ . دار العالم العربي . عمان . ٢٠١٧م.
- الثوار والمعارضة والثورة السورية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.

- الثورة ثورة في كل شيء . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٦م.
- الثورة السورية والمؤامرة الكونية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الثورة السورية وأزمة القيادة . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- الثورة السورية والحلول التهريجية . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- الثورة السورية والنظام السوري . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الجمال وعلم الجمال . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- الحب والإبداع والحياة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٧م.
- الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- الحرب على الدولة الإسلامية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- حوار في الذاكرة بيني وبنيتي . دار حدوس وإشراقات . عمان . ٢٠١٥م.
- خطر نجاح الإسلام في السلطة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الدخيل على المصلحة (قصص) – ن . م – دمشق – ١٩٩٣م.
- دفاع عن الفلسفة ؛ الفلسفة ثرثرة أَم أُمُّ العلوم ؟ – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- رئيس وأربعة فراعين . . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- سكر مالح (قصص) . حدوس وإشراقات . عمان . ٢٠١٦م.
- السوريون بناة حضارات الإغريق واليونان والرومان؛ عَلىٰ هامش نزيف العقل العربي . دار العالم العربي . عمان . ٢٠١٧م.
- شظايا على الجداران (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- صوت السوط (مسرحية) . دار حدوس وإشراقات . عمان . ٢٠١٦م.

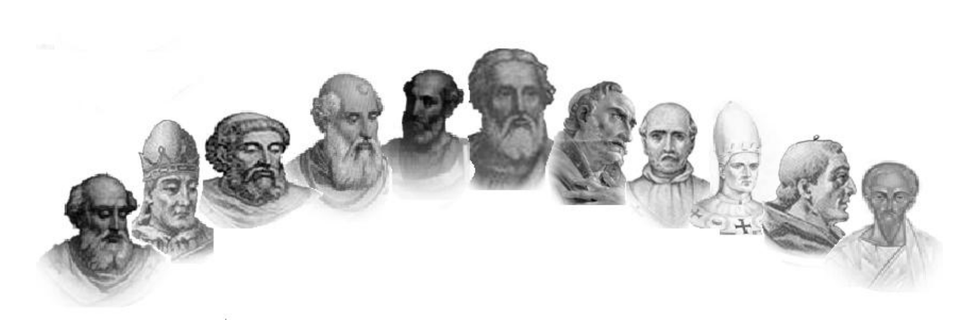
- الطريق إلىٰ الإبداع؛ نحو نظرية جديدة ـ إيبرو للطباعة ـ ٢٠١٦م.
- عاد العوا؛ أخلاقه وفلسفته الأخلاقية ـ دار أنهار ـ بيروت ـ ٢٠١٧م.
- العالم على البركان ـ دار أنهار ـ بيروت ـ ٢٠١٤م.
- العالم في مواجهة الإسلام ـ دار أنهار ـ بيروت ـ ٢٠١٤م.
- عالم مجنون؛ المضحك المبكي في السياسة الأمريكية ـ دار الفكر الفلسفي ـ دمشق ـ ٢٠٠٨م.
- العدوان الأمريكي على سوريا؛ حقيقة الموقف الأمريكي من الثورة السورية ـ دار أنهار ـ بيروت ـ ٢٠١٦م.
- العدوان الروسي على سوريا؛ مشروع إبادة الشعب والحضارة ـ دار أنهار ـ بيروت ـ ٢٠١٦م.
- العرب أعداء أنفسهم ـ دار الفكر الفلسفي ـ دمشق ـ ٢٠٠٤م.
- العرب جثة تنهشها الكلاب ـ دار الفكر الفلسفي ـ دمشق ـ ٢٠٠٩م.
- عفيف البهنسي والجمالية العربية ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ـ ٢٠٠٨م.
- علم الجمال الإعلاني ـ دار حدوس وإشراقات ـ عمان/ الأردن ـ ٢٠١٣م.
- علم الجمال المعلوماتي: نحو نظريَّة جديدة ـ دار الأصالة للطباعة ـ دمشق ـ ١٩٩٤م.
- عواد من دون عود (قصص) — دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧.
- غاوي بطالة (قصص قصيرة) – دار الأصالة للطباعة ـ دمشق ـ ١٩٩٦م.
- الغرب الجاني على نفسه ـ دار العالم العربي ـ بيروت ـ ٢٠١٥م.
- فلسفة الفن و الجمال عند ابن خلدون ـ دار طلاس ـ دمشـق ـ ١٩٩٣م.

- فلسفة الفن والجمال عند الجاحظ . دار العالم العربي . عمان . ٢٠١٧م.
- فلسفة الفن والجمال عند التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٦م.
- فلسفة الفن والجمال عند كاسيوس لونجينوس . العالم العربي للنشر . عمان . ٢٠١٨م.
- فلسفة الأخلاق عند الجاحظ . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٥م.
- في انتظار حمقاء (قصص قصيرة) . دار الأًصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٥م.
- فيلا وعلبة حلاوة (قصص قصيرة جداً) — دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- قراءات في فكر بديع الكسم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- قراءات في فكر عادل العوا . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠١م.
- قضايا الفكر العربي المعاصر . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- كاسيوس لونجينوس: الرائع؛ بحث جمالي فيمة الروعة . ترجنة ودراسة تقديم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- كتابة البحث؛ المفاهيم والقواعد والأصول . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.
- الكل يطلق المار النار على السوريين وثورتهم . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- كيف ستواجه أمريكا العالم؟ . دار السلام للطباعة . دمشق . ١٩٩٢م.
- لا تعشقيني (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.

- لبنان والمشروع الأمريكي؛ قراءة في الأزمة اللبنانية وتداعياتها . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م.
- لبنان بَيْنَ حربين؛ الأزمة اللبنانية بَيْنَ الداخل والخارج . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- اللعب مع الكلاب (قصص قصيرة) . دار فن وعلم . طرابلس . ٢٠١٧م.
- لوحات من ألم الثورة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- ماذا لو تبعثر الكلام؟!؛ لوحات شعرية . دار فن وعلم . طرابلس . ٢٠١٧م.
- مختارات من دارسي التراث العربي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- المدخل إلى عصر النهضة العربية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- المذاهب الاقتصادية الكبرى . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٨م.
- المذاهب الجمالية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- معجم أعلام عصر النهضة العربية . العالم العربي للنشر . عمان . ٢٠١٨م.
- مكيافيليَّة ونيتشويَّة تربوية: نحو سلوك تربوي عربي جديد . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- ملحمة المجانين (ملحمة شعرية) . دار حدوس وإشراقات . عمان . ٢٠١٥م.
- من رسائل أبي حيان التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠١م.
- من يسمم الهواء؛ ظاهرة السرقة في عالمي الفكر والأدب . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الموت مفتاح الحياة؛ قراءة فلسفية . دار فن وعلم . طرابلس . ٢٠١٨م.

- الموت من دون تعليق (قصص قصيرة جداً) - دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- نجوم عربية تستطع في سماء الغرب؛ على هامش نزيف العقل العربي . كيملك يايانلان . قيصرية . تركيا . ٢٠١٨م.
- نزيف العقل العربي؛ رؤية في هجرة الكفاءات العربية . العالم العربي . عمان . ٢٠١٦م.
- النظام الاقتصادي العالمي الجديد . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م .
- النظام الاقتصادي العربي؛ واقع ومشكلات ومقترحات . ط١: دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م. ط٢: دار إنانا ٢٠١٠م.
- نهاية الفلسفة . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا — ط أولى؛ دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٤م. ط ثانية؛ دار الفكر الفلسفي – دمشق – ٢٠٠٣م.
- همس الهوى (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- وظيفة الفن . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ٢٠١٣م.
- يصغر أمامك الكلم (شعر) . دار حدوس وإشراقات . عمان . ٢٠١٥م.

قياصرة روما السوريون



قياصرة روما السوريون

على هامش تزييف العقل العربي

الدكتور عزت السيد أحمد

الفهرس

قياصرة روما السوريون
على هامش تزييف العقل العربي
الدكتور عزت السيد أحمد

The Syrian Emperors of Rome

BY BROF. Dr.

EZZAT ASSAYED AHMAD

Publisher

The Araboc World for publishing

146 pages

First edition

Kimlik Yayınlaı

Kayseri-Türkiye

2019



THE SYRIAN EMPERORS OF ROME

BY BROF. Dr.
EZZAT ASSAYED AHMAD



KimlikYayınlaı
Kayseri-Türkiye
2019